عيون الأخبار

لابن قتيبة

في الأدب والمحاضرات

لابي محمد عبد الله بن قتيبه

المتوفي سنة ٢٧٦ هجرية

يباع بمكتبة

محمود على صبيح : واخيه محمد

بميدان الازهر بمصر

مطبعة الاتحاد المصرى باول حارة الروم بالغورية بمصر

كتاب

عيون الاخبار

تأليف

(الشيخ الامام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)

الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٢٤

على نفقة محمد ابراهيم أدهم

(تنبيه) كتاب عيون الاخبار هذا يشتمل على عشرة كتب كما يذكرها المؤلف في المقدمة وقد عزمنا على اصدارها تباعا كل كتاب في جزء على حدته تسهيلا للترغيب في مطالعته فان مؤلفه رضى الله عنه صنفه في الادب والمحاضرات دالا على معالي الامور مرشدا لكريم الاخلاق زاجرا عن الدناءة والقبح باعثا على الصواب والتدبر وفى تمثيله للمطالع كتابا كبيرا ضخما ذا اجزاء كثيرة احجام له عن مطالعته ولو تناوله كتابا صغيرا اسهل عليه شراؤه ورغبت نفسه في مطالعته ان شاء الله



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين * قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري رضي الله عنه * الحمد لله الذي يعجز بلاؤه صفة الواصفين * وتفوت آلاؤه عدد العادين * وتسع رحمته ذنوب المسرفين * والحمد لله الذي لا تحجب عنه دعوة * ولا تخيب لديه طلبة * ولا يضل عنده سعي * الذي رضي عن عظيم النعم بقليل الشكر * وغفر بعقد الندم كبير الذنوب * ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين * والحمد لله الذي ابتعث فينا البشير النذير * السراج المنير * هاديا الى رضاه * وداعياً الى محبته * ودالا على سبيل جنته * ففتح لنا باب رحمته * وأغلق عنا باب سخطه * صلى الله وملائكته المقربون عليه وعلى آله وصحبه ابداً * ماطما بحر * وذر شارق * وعلى جميع النبيين والمرسلين

﴿ أما بعـد ﴾ فان لله في كل نعمة أنعم بها حقاً وعلى كل بلاء أبلاه زكاة فزكاة المال الصـــدقة وزكاة الشرف التواضع وزكاة الجاه بذله وزكاة العلم نشره وخير العلوم أنفعها وأنفعها أحمدها مغبة وأحمدها مغبة ماتعلم وعلم لله واريد به وجه الله تعـــالى

ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين * وبأحسنه آخذين * ولوجهه الكريم بما نستفيد ونفيد مريدين * وبحسن بلائه عندنا عارفين * وبشكره أناء الليل والنهار متمسكين * انه أقرب المدعوين * وأجود المسؤولين

واني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتاباً في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن اقامة سوق

لادب حتى عفى ودثر بلغت له فيه همة النفس وثلج الفؤاد وقيدت عليه به ما أضل من الآلة ليوم الادالة وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلا اذا كاتب ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن اذا حاور ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتني الهمة الى كفايته وخشيت ان وكلته فيما بقي الى نفسه وعولت له على اختياره ان تستمر مريرته على التهاون ويستوطيء مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول ويزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحد فيلحقه خور الطباع وسآمة الكلفة فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له في ذلك عمل من طب لمن حب بل عمل الوالد الشفيق للولد البار ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله في الجزاء والأجر

فان هذا الكتاب وان لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام دال على معالي الامور مرشد لكريم الاخلاق زاجر عن الدناءة ناه عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الارض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعاً في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام بل الطرق اليه كثيرة وابواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان وصلاح الزمان بصلاح السلطان وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالارشاد وحسن التبصير

وهذه ﴿عيون الاخبار﴾ نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولاهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً من كد الجد والتعب وصنفتها أبواباً وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة باختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها وهي لقاح عقول العلماء ونتاج أفكار الحكماء وزبدة المحض وحلية الادب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك وآثار السلف جمعت لك منها في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافها وتخلصها من مساوى الاخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت وتستنجح بها حاجتك اذا سألت وتتلطف في القول ان

شفعت وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت فان الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال وتستعمل آدابها في صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه وتعمر بها مجلسك ان جددت او هزلت وتوضح بأمثالها حججك وتبت باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق في أحسن صورة وتبلغ الارادة بأخف مؤونة وتستولى على الامد وأنت وادع وتلحق الطريدة ثانياً من عنانك وتمشي رويدا وتكون اولا هذا اذا كانت الغريزة مؤاتية والطبيعة قابلة والجنيب منقادا فان لم يكن كذلك ففي هذا الكتاب لمن أراه عقله نقص نفسه فأحسن سياستها وستر بالاناة والروية عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه ما نعش منها العليل وشحذ الكليل و بعث الوسنان وأيقظ الهاجع حتى تقارب بعون الله رتب المطبوعين ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم فوفيت كل فريق منهم قسمه ووفرت عليه سهمه واودعته طرفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به اذا اجتمعوا و يتكاتبون به اذا افترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين واشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفاً و يأطر على التوبة متجانفاً و يردع ظالما و يلين برقائقه قسوة القلوب ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون ولأروح بذلك عن القارئ من كد الجد واتعاب الحق فان الاذن مجاجة وللنفس حمضة والمزح اذا كان حقاً أو مقارباً ولاحايينه وأوقاته وأسباب أوجبته مشاكلا ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر ان شاء الله

وسينتهي بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روي عن الاشراف والأئمة فيها فاذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه او تعجب منه او تضحك له فاعرف المذهب فيه وما اردنا به.

واعلم انك ان كنت مستغنياً عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك ولو وقع

فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولاعرض عنه من أحببنا ان يقبل اليه معك

وانما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين واذا مر بك حديث فيه افصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع او التخاشع على ان تصعر خدك وتعرض بوجهك فان أسماء الاعضاء لاتؤثم وانما المأثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا.. وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لبديل بن ورقاء حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء لو قد مسهم حز السلاح لاسلموك أعضض ببظر اللات أنحن نسلمه .. وقال علي بن ابي طالب صلوات الله عليه من يطل أير أبيه ينتطق به.. وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمُ   طَوِيلاً كَأَيْرِ الحَارِثِ بْنِ سَدُوسِ

قال الاصمعي كان للحارث بن سدوس واحد وعشرون ذكرا.. وقيل للشعبي ان هذا لايجيء في القياس فقال اير في القياس وليس هذا من شكل ماتراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعيير وابتهار في الاخوات والامهات وقذف للمحصنات الغافلات فتفهم الأمرين وافرق بين الجنسين ولم أترخص لك في ارسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراك على كل حال وديدنك في كل مقال بل الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في ارسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزهت وثلموا أديانهم وتورعت وكذلك اللحن ان مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك انا تعمدناه وأردنا منك ان تتعمده لان الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها وسأمثل لك مثالا .. قيل لمزيد المديني وقد أكل طعاما كظه في قال ما أقي نقا ولحم جدي مرتي طلاق لو وجدت هذا قيئا لا كلته.. ألا ترى أن هذه الالفاظ لو وفيت بالاعراب والهمز حقوقها لذهبت

طلاوتها ولا ستبشعها سامعها وكان أحسن أحوالهـا أن يكافيء لطف معناها ثقل الفاظها فيكون مثل المخبر عنها . . ماقال الاول

إِضْرِبْ بِذِي طَلْحَةِ ٱلْخَيْرَاتِ إِنْ فَخَرُوا

بِنَجْلِ أَشْعَثَ وَاسْتَثْبِتْ وَكُنْ حَكَمَا

تَخْرُجْ خُزَاعَةُ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... فَلَا تَعُدَّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمَا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء في جارية له

أَمُغَطًّى مِنِّي عَلَى بَصَرِي لِلْـ ... ـحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ ٱلنَّاسِ حُسْنَا

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَشْتَهِي ٱلنَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ عَاقِلٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَأَحْلَى ٱلْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

وان مر بك خبر أوشعر يتضع عن قدر الكتاب وما بني عليه فاعلم أن لذلك سببين أحدهما قلة ماجاء في ذلك المعنى مع الحاجة اليه والسبب الآخر أن الجنس اذا وصل بمثله نقص نوراها ولم يتبين فاضل بمفضول واذا وصل بما هودونه أراك نقصان أحدهما من الآخر الرجحان ومدار الأمر وقوامة على واحـدة تحتاج الى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تحضر الكلمة موضعها وتصلها بسببها ولا ترى غبنًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك فاذا رأيت حالا تشاكل ماحضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها . . وكان يقال انتهزوا فرص القول فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . . وقالوا رب كلمة تقول دعني . . وان وقعت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مشبعًا فلا تقض علينا بالاغفال حتى تتصفح الكتب كلها فانه رب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فيقسم ماجاء فيه على مواضعه كالتلطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان وكالاعتذار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان وكالبخل يقع في كتاب الطبائع وفي كتاب الطعام وكالكبر والمشيب يقع في كتاب الزهـد ويقع في كتاب النساء وأعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الاحاديث في الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا في السن والمعرفة

وعن جلسائنا واخواننا ومن كتب الاعاجم وسيرهم و بلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سناً لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمة الوكعاء لجهلها فضلا عن غيرها فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه وان يزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين ولا يضر الحسناء أطمارها ولا بنات الاصداف أصدافها ولا الذهب الابريز مخرجه من كبا (١) ومن ترك أخذ الحسن لموضعه أضاع الفرصة والفرص تمر مر السحاب . . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير الرامي وهذا يكون في مثل كتابنا لانه آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان * فاما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه الا عمن تراه لك حجة ولا يقدح في صدرك منه الشكوك وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين اذا كان متخير اللفظ لطيف المعني لم يزر به عندنا تأخر قائله كما أنه اذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوله خارجية . . ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته وبخس المتأخر والتجني عليه والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الامور بالقسطاس المستقيم . . واني حين قسمت هذه الاخبار والاشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت افراده عنها وهو أربعة كتب متميزة كل كتاب منها مفرد على حدته . كتاب الشراب . وكتاب المعارف . وكتاب الشعر . وكتاب تأويل الرؤيا

فالكتاب الاول من الكتب العشرة المجموعة كتاب السلطان وفيه الاخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعن مايحتاج صاحبه الى استعماله

---

(١) — الكبا بالفتح والكسر الكدان وهي الحجارة الرخوة

من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختياره عماله وقضاته وحجابه وكتابه وعلى الحكام ان يمثلوه في أحكامهم وما جآء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب الثاني كتاب الحرب وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته اليه وجعلتهما جزأ واحدا وفيه الاخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش وعن العدة والسلاح والكراع وما جآء في السفر والمسير والطيرة والفأل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون وأخبار الجبناء والشجعاء وحيل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطالبيين وأخبار الامصار وما جآء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب الثالث كتاب السودد وفيه الاخبار عن مخايل السودد في الحدث وأسبابه في الكبير وعن الهمة السامية والخطار بالنفس لطلب المعالي واختلاف الارادات والاماني والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمزاح وترك التصنع والتوسط في الاشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشرآء والمداينة والشريف من افعال الاشراف والسادة وما جآء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب الرابع كتاب الطبائع والاخلاق وهذا الكتاب مقارب لكتاب السودد فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحداً وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم وعن مساوىء الأخلاق من الحسد والغيبة والسعاية والكذب والقحة وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والبخل والحمق ونوادر الحمقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جآء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار

والكتاب الخامس كتاب العلم وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والاثر والكلام في الدين ووصايا المؤدبين والبيان والبلاغة والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جآء في ذلك

من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب السادس كتاب الزهد وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحداً وفيه الاخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعآء والبكآء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفآء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب السابع كتاب الاخوان وفيه الحث على اتخاذ الاخوان واختيارهم والاخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعيادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الاخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب الاخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب الثامن كتاب الحوآئج وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الاخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجد والهدية والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعى لها والاجابة الى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتنجيزها وأحوال المسؤلين عند السؤال في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تقطع والشكر والثناء والتلطف فيها والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والالحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب التاسع كتاب الطعام وفيه الاخبار عن الاطعمة الطيبة والحلواء والسويق واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقرآء الاعراب ونازلة الفقر وأدب الاكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الاكلة والمنهومين والدعآء الى المآدب والضيافة وأخبار البخلآء بالطعام وسياسة الابدان بما يصلحها من الغذآء والحمية وشرب الدوآء ومضار الاطعمة ومنافعها ومصالحها ونتف من طب العرب والعجم وما جآء في ذلك من النوادر وابيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

والكتاب العاشر كتاب النساء وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام والعزيب

تدعوا الاكل والنكاح الاطيبين فتقول قد ذهب منه الاطيبان تريدها فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحداً وفيه الأخبار عن اختلاف النسآء في أخلاقهن وخلقهن وما يختار منهن للنكاح وما يكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح والدمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الاولياء عند الهدآء وسياسة النسآء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساويهن خلا اخبار عشاق العرب فاني رأيت كتاب الشعرآء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب منها الاشيئاً يسيرا وماجآء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الاخبار

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أولها لأعفيك من كد طلبها وتعب التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتها ولتقصد فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجه بعينه أوما ينوب عنه ويكفيك منه فان هذه الاخبار والاشعاروان كانت عيوناً مختارة اكثرمن أن يحاط بها أو يوقف من ورآئها أو تنتهي حتى ينتهى عنها

وقدخففت وان كنت أكثرت وأختصرت وان كنت أطلت وتوقيت في هذه النوادر والمضاحيك ما يتوقاة من رضي من الغنيمة فيها بالسلامة ومن بعد الشقة بالايات ولم أجد بداً من مقدار ما أودعته الكتاب منها ليتم به الابواب ونحن نسأل الله أن يمحو ببعض بعضاً ويغفر بخير شراً ويجد هزلاً ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الامل فيه وحسن الظن به والرجآء له من الخيبة والحرمان

(كتاب السلطان)

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خداش قال حدثنا سالم بن قتيبة عن ابن أبي ذئب عن المقابري عن أبي هريرة قال قال *رسول الله صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الامارة

ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة و بئست الفاطمة * حدثني محمد بن الزيادي قال حدثنا عبد العزيز الدراوردي قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن زيادرجلا قال عند النبي صلى الله عليه وسلم بئس الشيء الامارة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحقها وحلها * حدثني زيد بن اخزم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة قال حدثنا ابو المنهال عن عبد العزيز أبي بكرة عن أبيه قال لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا فقالوا أبنته بوران قال لن يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة * حدثني زيد بن اخزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أيوب يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال من استعمل القوم قالوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الانصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب فقال أميران هلك والله القوم * حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن هشام بن حسان قال كان الحسن يقول أربعة من الاسلام الى السلطان الحكم والفيء والجمعة والجهاد * وحدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة قال قال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضه الا ببعض * حدثني سهل بن محمد قال حدثني الاصمعي قال قال ابو حازم لسليمان بن عبد الملك السلطان سوق فما نفق عنده أتي به * وقرأت في كتاب لابن المقفع الناس على دين السلطان الا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فستكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض * وقرأت فيه أيضاً الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقام لاهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم ما عليهم أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه تقوم به الامور ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر * حدثني زيد بن عمرو عن عصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحاق ابن نجيح عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله حراساً فحراسه في السماء الملائكة وحراسه في الارض الذين يأخذون

الديوان * حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني سعيد بن سليم الباهلي قال اخبرني شعبة عن شرقي عن عكرمة في قول الله عز وجل (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) قال الجلاوزة يحفظون الامرآء * وقرأت في كتاب من كتب الهند شر المال مالا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البري وشر البلاد ماليس فيه خصب ولا أمن * وقرأت فيه خير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيفة حولها النسور وهذا معنى لطيف وأشبه الاشياء به قول بعضهم سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها * حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لابي وآئل عن أبي وآئل قال قال عبد الله بن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكروان كان جآئرا فعليه الوزر وعليك الصبر * وأخبرني ايضاً عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث من الفواقر جار مقامة ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة أذاعها وأمرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان أحسنت لم يحمدك وان أسأت قتلك وقرأت في اليتيمة مثل قليل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سقيا الله وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به السفر ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدر سيوله فتهلك الناس والدواب ويموج له البحر فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس اذا نظروا الى آثار رحمة الله في الارض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص البلايا التي دخلت على خواص الخلق ومثل الرياح التي يرسلها الله نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحاً للثمرات وأرواحاً للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص ذلك الى أنفسهم وأموالهم فيشكوا منها الشاكون ويتأذى بها المتأذون ولا يزيلها ذلك عن منزلتها التى جعلها الله بها وأمرها الذى سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحاً للحرث والنسل

ونتاجاً للحب والثمر يجمعها البرد باذن الله ويخرجها الحر باذن الله و ينضجها مع سائر
ما يعرف من منافعها وقد يكون الاذى والضر في حرهما و بردهما وسمائهما وزمهريرهما
وهما مع ذلك لا ينسبان الا الى الخير والصلاح ومن ذلك الليل الذي جعله الله سكنا
ولباثاً وقد يستوحش له أخو القفر و ينازع فيه أخو البلية والريبة وتعدو فيه السباع
وتنساب فيه الهوام و يغتنمه أهل السرق والسلة ولا يزرى صغير ضرره بكثير نفعه
ولا يلحق به ذماً ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على ما من به عليهم منه
ومثل النهار الذى جعله الله ضياء ونشورا وقد يكون على الناس اذى الحر في قيظهم
وتصبحهم فيه الحروب والغارات و يكون فيه هذا النصب والشخوص وكثير ممـا
يشكوه الناس و يستريحون فيه الى الليل وسكونه ولو أن الدنيا كل شيء من سرائها
يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نماؤها بغير كدر وميسورها من غير
معسور كانت الدنيا اذا هي الجنة التى لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترح والتي
ليس فيها نصب ولا لغوب فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو نعمة
عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصاً فهو بلاء عام * وكان يقال السلطان والدين
أخوان لا يقوم أحدهما الا بالآخر * وقرأت في التاج لبعض الملوك هموم الناس
صغار وهموم الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شيء بجل والباب السوقة مشغولة
بأيسر الشيء فالجاهل منهم يعذر نفسه بدعة ماهو عليه من الرسلة ولا يعذر سلطانه
مع شدة ماهو فيه من المؤونة ومن هناك يعزز الله سلطانه و يرشده و ينصره * سمع
زياد رجلا يسب الزمان فقال لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته انما الزمان هو السلطان
وكانت الحكماء تقول عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان * وروى الهيثم عن ابن
عياش عن الشعبي قال أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم فقال يا بنى هاشم ألا
تحدثوني عن ادعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجماع
عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعاً فان كان هذا الامر بالرضا
والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقاً ولا أسست ملكا وان كان بالقرابة
دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقي الحجيج
وضامن الايتام ان يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بنى عبد مناف وان كانت الخلافة

بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً فان القرابة خصلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأنتم تدعونها بها وحدها ولكنا نقول أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم اليه بالبيعة ونقلوا أقدامهم اليه للرغبة وطارت اليه أهواؤهم للثقة وقاتل عنها بحقها فادركها من وجهها ان أمركم لامر تضيق به الصدور اذا سئلتم عمن اجتمع عليه من غيركم قلتم حق فان كانوا اجتمعوا على حق فقد اخرجكم الحق من دعواكم انظروا فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم وان كانوا أخذوا حقهم فسلموا اليهم فانه لا ينفعكم أن تروا لانفسكم مالا يراه الناس لكم * فقال ابن عباس ندعي هذا الامر بحق من لولاحقه لم تقعد مقعدك هذا ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقاً ضيعوه وحظاً حرموه وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطىء الورد والصدر ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه قال الله عزوجل (ويؤت كل ذى فضل فضله) فاما الذي منعنا من طلب هذا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهد منه الينا قبلنا فيه قوله ودنا بتأويله ولو أمرنا ان نأخذه علي الوجه الذي نهانا عنه لاخذناه أو أعذرنا فيه ولا يعاب أحد على ترك حقه انما المعيب من يطلب ماليس له وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارا انتهت القضية الى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي للمؤمن أنفع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت عمي وصنو أبي ومن أبغض العباس فقد أبغضني وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوتي آخر النبوة وقال لابي طالب عند موته ياعم قل لا اله الا الله أشفع لك بها غدا وليس ذاك لاحد من الناس قال الله تعالى « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » * حدثنا الرياشي عن أحمد بن سلام مولى دفيف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال قال كسرى لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار * وحدثنا الرياشي قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا القاسم بن الفضل قال حدثنا ابن اخت العجاج عن العجاج قال قال لي أبو هريرة ممن أنت قال قلت من أهل العراق قال يوشك ان يأتيك بقعان الشأم فياخذوا صدقتك

فاذا أتوك فتلقهم بها فاذا دخلوا فكن في اقاصيها وخل عنهم وعنها واياك وأن تسبهم فانك ان سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وان صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة * وفي رواية أخرى أنه قال اذا أتاك المصدق فقل خذ الحق ودع الباطل فان أبي فلا تمنعه اذا أقبل ولا تلعنه اذا أدبر فتكون عاصياً خفف عن ظالم * وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة * وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لاردشير بن بابك الى الرعيــة نسخته من أردشير المؤيد ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء الى الفقهاء الذين هم حملة الدين والاساورة الذين هم حفظة البيضة والكتاب الذين هم زينــة المملكة وذوي الحرث الذين هم عمود البلاد الســلام عليكم فانا بحمدالله مالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضــل رأفتنا اتاوتها الموظفة عليها ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو ولا تحتكروا فيشملكم القحط وتزوجوا في القرابين فانه امس للرحم واثبت للنسب ولا تعدوا هذه الدنيا شيئاً فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها * وقرأت كتاباً من ارسطاطاليس الى الاسكندر وفيه أملك الرعيــة بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك وأعــلم أنك انما تملك الابدان فتخطها الى القلوب بالمعروف وأعلم ان الرعية اذا قدرت علي ان تقول قدرت على ان تفعل فأجهد الا تقول تسلم من ان تفعل * قرأت في كتاب الا يين أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له اني انما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر * ونحوه قول العجم أسوس الملوك من قاد ابد ان الرعية الى طاعته بقلوبها * وقالوا لا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير * حدثنا الرياشي عن احمد بن سلام عن شيخ له قال كان أنوشروان اذا ولى رجــلا أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعــة أسطر ليوقع فيــه بخطه فاذا أتى بالعهد وقع فيــه سس خيار الناس بالمحبة وأمزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة * قال المدائني قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية هل من مغربة خبر قال نعم نزلت بماء من

مياه الاعراب فبينا أنا عليه أورد اعرابي ابله فلما شربت ضرب على جنوبها وقال عليك زيادا فقلت له ما أردت بهذا قال هي سدى ما قام لي فيها راع مذ ولي زيادا فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد * قال عبد الملك بن مروان انصفوا يامعشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر نسئل الله أن يعين كلا على كل * قال عمر بن الخطاب ان هذا الأمر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف * وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا * قال معاوية لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف ذاك قال كنت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها * ونحو هذا قول الشعبي فيه كان معاوية كالجمل الطب اذا سكت عنه تقدم واذا رد تأخر ـ والجمل الطب ـ الحاذق بالمشي وهو الذي لا يضع يديه الا حيث يبصر * وقول عمر فيه أحذروا آدم قريش وابن كريمها من لا ينام الا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته * وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له أتحلم عن هذا فقال اني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا * كان يقال لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل وحسن سياسة * قال زياد أحسنوا الى المزارعين فانكم لاتزالون سماناً ما سمنوا * وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني أيقظت رأيي وأنمت هواي فادنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظاً من نظرى ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيئ والثواب الى المحسن البريئ فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب * وكان يقول لاهل الشام انما انا لكم كالظليم الرائح عن

فراخه ينفي عنها القذر و يباعد عنها الحجر و يكنها من المطر و يحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب يا اهل الشام انتم الجنة والرداء وانتم العدة والحذاء * فخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت ما أدرك صاحبك شيئاً قط بسيفه الا وقد ادركت اكثر منه بلساني*وقال الوليد لعبد الملك ياأبت ماالسياسة قال هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمال هفوات أهل الصنائع*وفي كتب العجم قلوب الرعية خزائن ملوكها فما اودعتهامن شيء فلتعلم انه فيها * ووصف بعض الملوك سياسته فقال لم اهزل في وعد ولا وعيد ولاأمر ولا نهي ولاعاقبت للغضب واستكفيت على الجزاء واثبت على العناد لاللهوى واودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودا لم تشبه جرأة وعممت بالقوت ومنعت الفضول * وقرأت في التاج قال ابرويز لابنه شيرويه وهو في حبسه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك اعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعاً جميلا ووسع عليهم في الرجاء ولا تسرف عليهم في العطاء * ونحوه قول المنصور في مجلسه لقواده صدق الاعرابي حيث يقول اجع كلبك يتبعك فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه و يدعك * وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله ان تدركني واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة أقم الحدود ولو ساعة من نهار واذا عرض لك امران احدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى واخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا وعد مريض المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك و باشر أمورهم بنفسك فانما انت رجل منهم غيران الله جعلك أثقلهم حملا وقد بلغني انه فشا لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب فلم يكن لها هم الا السمن وانما حتفها في السمن واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت رعيته واشقى الناس من شقي الناس به والسلام * عن هشام بن عروة قال صلى يوماً من الايام عبدالله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة فقال الناس لقد حدث نفسه ثم التفت الينا فقال لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه مخارج لا نجدها في احد

بعده أبدا والله ان كنا لنفرقه وما الليث الحرب على براثنه بأجرأ منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الارض بأدهى منه فيتخادع لنا والله لوددت أنا متعنا به مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له عقل ولا تنتقص له قوة . قلنا أوحش والله الرجل قال وكان يصل بهذا الحديث كان والله كما قال العذري

رَكُوبُ ٱلْمَنَابِرِ وَثَّابُهَا مِعَنٌّ بِخُطْبَتِهِ مُجْهِرُ
تُرِيعُ إِلَيْهِ هَوَادِي ٱلْكَلَامِ إِذَا خَطَلَ ٱلنَّثْرُ ٱلْمِهْمَرُ

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الاصمعي قال حدثنا جد سران وسران عم الاصمعي قال كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب في أن يلين لهم فانه قد أخافهم حتى انه قد أخاف الابكار في خدورهن فقال عمر اني لا أجد لهم الا ذلك انهم لو يعلموا مالهم عندي لاخذوا ثوبي من على عاتقي * قال وتقدمت اليه امرأة فقالت يا أباعقر خفض الله لك فقال مالك أعقرت فقالت هامت فرقتك *قال أشجع السلمي في ابراهيم بن عثمان

لَا يُصْلِحُ ٱلسُّلْطَانُ الَّا شِدَّةٌ تَغْشَى ٱلْبَرِيَّ بِفَضْلِ ذَنْبِ ٱلْمُجْرِمِ
وَمِنَ ٱلْوُلَاةِ مُقَحَّمٌ لَا يُتَّقَى وَٱلسَّيْفُ يَقْطُرُ شَفْرَتَاهُ مِنَ ٱلدَّمِ
مَنَعَتْ مَهَابَتُكَ ٱلنُّفُوسَ حَدِيثَهَا بِٱلْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِ

كان يقال شر الامراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقربهم من الامراء * كتب عامل لعمر بن العزيز على حمص الى عمر ان مدينة حمص قد تهدم حصنها فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في اصلاحه فكتب اليه عمر أما بعد فحصنها بالعدل والسلام * وذكر أعرابي أميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف * كان جعفر بن يحيي يقول الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم * وفي كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه يابني ان الملك

والدين أخوان لا غني بأحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فهو مهدوم ومالم يكن له حارس فضائع يابني اجمل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد و بشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ماعنك من أهل العقل * وكان يقال مهما كان في الملك فلاينبغي أن تكون فيه خصال خمس لا ينبغي أن يكون كذابا فانه اذا كان كذابا فوعد خيرا لم يرج أو أوعد بشر لم يخف ولا ينبغي أن يكون بخيلا فانه اذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة ولا ينبغي أن يكون حديدا فانه اذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية ولا ينبغي أن يكون حسودا فانه اذا كان حسودا لم يشرف أحدا ولا يصلح الناس الا على اشرافهم ولا ينبغي أن يكون جبانا فانه اذا كان جبانا ضاعت ثغوره واجترأ عليه عدوه * وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان واأبتاه و بكت فقال معاوية يا ابنة أخي ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين * كتب عبد الله بن عباس الى الحسن بن علي ان المسلمين ولوك أمرهم بعد علي فشمر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك واشتر من الضنين دينه بما لم يثلم دينك وول أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائرهم حتى تكون الجماعة فان بعض ما يكره الناس مالم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين خير من كثير مما تحبون اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووهن الدين * حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو وعن أبي اسحاق عن الاعمش عن ابراهيم قال كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن من يعرف من أهل البلاد وعن اميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أقبل

اختيار العمال

روي ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني استعملت عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * وفي التاج ان أبرويز كتب الى ابنه شيرويه من الحبس ليكن من تختاره لولا يتك امرءًا كان في ضعة فرفعته أو ذا شرف وجدته مهتضما فاصطنعته ولا تجعله امرءًا أصبته بعقوبة فاتضع عنها ولا امرءًا أطاعك بعد ما أذللته ولا أحدا ممن يقع في خلدك أن ازالة سلطانك خير له من ثبوته واياك أن تستعمله ضرعًا غمرا كثر اعجابه بنفسه وقلت تجاربه في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه * وقال لقيط في هذا المعنى

فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلّٰهِ دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُطَّلِعَا
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ ٱلْعَيْشِ سَاعَدَهُ ... وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ ٱلدَّهْرِ أَشْطُرَهُ ... يَكُونُ مُتَّبِعًا يَوْمًا وَمُتَّبَعَا
حَتَّى ٱسْتَمَرَّتْ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا

ويقال في مثل رأي الشيخ خير من مشهد الغلام * ومن أمثال العرب أيضا في المجرب العوان لا تعلم الخمرة * قال بعض الخلفاء دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني قالوا كيف تريده قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا لا نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها * وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال قال الحجاج دلوني على رجل للشرط فقيل أى الرجال تريد فقال أريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الامانة أعجف الخيانة لا يخفق في الحق على جره يهون عليه سبال الاشراف في الشفاعة فقيل له عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي فأرسل اليه يستعمله فقال له

لست أقبلها الا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك قال ياغلام ناد في الناس من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة قال الشعبي فوالله ما رأيت صاحب شرطة قط مثله كان لا يحبس الا في دين وكان اذا أتي برجل قد نقب على قوم وضع منقبته في بطنه حتى يخرج من ظهره واذا أتي بنباش حفر له قبرا فدفنه فيه واذا أتي برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً قطع يده واذا أتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه واذا أتي برجل يشك فيه وقد قيل انه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلاثمائة سوط قال فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة * وقرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه انتخب لخراجك أحد ثلاثة اما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعي ورعا في الدين فان من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج واجتهد في العمارة فان هو لم يرع ولم يعف اتقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حريًا أن يخون قليلا ويوفر كثيرا استسرارا بالرياء واكتتاما بالخيانة فان ظهرت على ذلك منه عاقبته على ماخان ولم تحمده على ما وفر وان هو جلح في الخيانة وبارز بالرياء نكلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس أورجلا عالمًا بالخراج غنيًا في المال مأمونًا في العقل فيدعوه علمه بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعمارة للارضين والرفق بالرعية ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره أو رجلا عالمًا بالخراج مأمونًا بالامانة مقترا من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ويزجي بعلمه الخراج ويعف بأمانته عن الخيانة *استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه عليك بأهل العذر قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو مارجوت منهم وان قصروا قال الناس قد اجتهد عمر * قال عدي بن أرطاة لاياس بن معاوية دلني على قوم من القراء أولهم فقال له القراء ضربان فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أنت وليتهم فمكنتهم منها قال فما أصنع قال عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم * أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له اني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه قال الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف

والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطأه وانت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعناً * حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الاصمعي قال حدثني صالح بن رستم أبو عامر الخزاز قال قال لى اياس بن معاوية المزني أرسل الي عمر بن هبيرة فأتيته فساكتني فسكت فلما أطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال هل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العرب شيئاً قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العجم شيئاً قلت أنا بها أعلم قال اني أريد أن أستعين بك قال ان في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل قال ماهن قلت أنا دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عي قال أما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك الناس وأما العي فاني أراك تعبر عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط قم قد وليتك قال فولاني وأعطاني الفي درهم فهما أول مال تمولته * قرأت في كتاب للهند السلطان الحازم ربما أحب الرجل فاقصاه وأطرحه مخافة ضره فعل الذي تلسع الحية اصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه * حدثني المعلى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول من مدح لنا رجلا فقد تضمن عيبه

(باب)

صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبد الله بن عباس قال قال لى أبي يابني اني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واني أوصيك بخلال أربع لا تفشين له سرا * ولا يجربن عليك كذبا * ولا تغتابن عنده أحدا * ولا تطوعنه نصيحة قال الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف قال أي والله ومن

عشرة آلاف * كان يقال اذا جعلك السلطان أخا فاجعله ربا وان زادك فزده * قال زياد لابنه اذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم اصفح صفحا جميلا ولا يرين منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه * قال مسلم بن عمرو ينبغي لمن خدم السلطان ان لا يغتر بهم اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يستثقل ما حملوه ولا يلحف في مسألتهم * وقرأت في كتاب للهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار وانما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعد مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل المال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد فلا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف * وقرأت فيه من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واطراح للأنفة وصل الى حاجته * وقرأت فيه السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالافضل ولكن الأدنى فالادنى كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه * وكانت العرب تقول اذا لم تكن من قربان الامير فكن من بعدانه * وقرأت في آداب ابن المقفع لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على أهوائهم دون هواك فان كنت حافظا اذا ولوك حذرا اذا قربوك أمينا اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلا ان صرموك راضيا ان أسخطوك والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر وان وجدت عن السطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخدم السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة * وقال اذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة في غير طول المعاتبة واذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرن له من الدعاء الا أن تكلمه على رؤوس الناس ولا يكونن طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنه ان أبطأ اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنك تعتد عليه ببلاء وان استطعت أن لا ينسى حقك وبلاؤك بتجديد النصح والاجتهاد

فافعل ولا تعطينه المجهود كله في أول صحبتك له فلا تجد موضعا للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا واذا سأل غيرك فلا تكن المجيب واعلم أن استلابك للكلام خفة بك واستخفاف منك بالسائل والمسؤول فما أنت قائل ان قال لك السائل ما اياك سألت وقال لك المسؤول أجب أيها المعجب بنفسه المستخف بسلطانه * وقال مثل صاحب السلطان مثل راكب الاسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب * وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه لمجالسته ومحادثته كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك علي التماسه بالكلام فانهم قد قالوا اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم يا عبد الرحمن لا تساعدني علي ما يقبح بي ولا ترد علي الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السوءال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وأمسي وكلمني بقدر ما استنطقك واجعل بدل التقريظ لي صواب الاستماع مني واعلم ان صواب الاستماع أقل من صواب القول واذا سمعتني أتحدث فأرني فهمك في طرفك وتوقفك ولا تجهد نفسك في تطرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما يظهر من استحسان ما يكون مني فمن أسوأ حالا ممن يستكد الملوك الباطل فيدل علي تهاونه وما ظنك بالملك وقد أحلك محل المعجب بما تسمع منه وقد أحللته محل من لا يسمع منه وأقل من هذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمة ان كانت لك اني جعلتك موءدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له يا أبا مسلم هذا أبو جعفر فقال أبو مسلم يا أمير الموءمنين هذا موضع لا يقضى فيه الا حقك * قال الفضل بن الربيع مسئلة الملوك عن أحوالهم من تحيات النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الامير بالكرامة واذا أردت أن تقول كيف يجد الامير نفسه فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان المسئلة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك اشتد عليه *

وقرأت في آداب ابن المقفع جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تثن عليه عند أحد فاذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو ان يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطف ولا تسار في مجلس السلطان أحد ولا تومىء اليه بجفنك وعينك فان السرار يخيل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه هو المراد به واذا كلمك فأصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس * وقرأت في كتاب للهند أنه أهدي لملك الهند ثياب وحلي فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده بين اللباس والحلية وكان وزيره حاضرا فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تغضينا بعينه ولحظه الملك فاختارت الحلية لئلا يفطن للغمزة ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تقر تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للأخرى * قال شبيب بن شبة ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذي اذا أراد الخليفة أن يسئله عن شيء لم يحتج الى أن يلتفت ويكون من ناحية ان التفت لم تستقبله الشمس واذا سار بين يديه أن يحيد عن سنن الريح التي تؤدي الغبار الى وجهه * قال رجل من النساك لآخر ان ابتليت بان تدخل الى السلطان مع الناس فاخذوا في الثناء فعليك بالدعاء * قال ثمامة كان يحيى بن أكثم يماشي المأمون يوما في بستان موسى والشمس علي يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده علي عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كر راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا الى حيث كنت فقال يحيى والله ياأمير المؤمنين لو امكنني ان اقيك هول المطلع بنفسي لفعلت فقال المأمون لا والله ما بد من أن تأخذ الشمس مني مثل الذي أخذت منك فتحول يحيى واخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون وقال المأمون أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته ثم على الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى * المدائني قال قال الاحنف لا تتقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف للسلطان أزراه ومن تضرع له أحظاه * حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال حدثنا

زهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن زيد بن يثيع قال قال حذيفة بن اليمان مامشي قوم قط الى سلطان الله في الارض ليذلوه الا أذلهم الله قبل ان يموتوا * وفي اخبار خالد بن صفوان انه قال دخلت علي هشام بن عبد الملك فاستدناني حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال يا خالد لرب خالد قعد مقعدك هذا أشهى الي حديثا منك فعلمت أنه يعني خالد بن عبد الله فقلت يا أمير المؤمنين أفلا نعيده فقال ان خالدا أدل فأمل واوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا على انه ماسألني حاجة فقلت يا أمير المؤمنين ذاك احرى فقال هيهات

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ ... إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث و ببعضه نهيك * اعتل يحيي ابن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له ماترى في هذه العلة فقال منكه داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر وكان متعينا فقال له يحيي ربما ثقل على السمع خطر الحق به فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه قال منكه صدقت ولكني أرى في الطوالع اثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نبهت وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الاخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين قال يحيي الامور منصرف الى العواقب وما حتم لابد ان يقع والمنفعة بمسالمة الايام نهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج قال منكه هي الصفراء مازجتها مائية من البلغم فحدث لها بذلك ما يحدث للهب عند مماسته رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء رمانين فدقهما باهليلجة سوداء تنقصك مجلسا وتسكن ذلك التوقد الذى تجد ان شاء الله فلما كان من حديثهم الذي كان تلطف منكه حتى دخل على يحيي في الحبس فوجده جالسا على لبد ووجد الفضل بين يديه يمهن أي يخدم فاستعبر منكه وقال قد كنت ناديت لو أعرت الاجابة قال له يحيي أتراك علمت من ذلك شيئا جهلته كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة القدر الخطير عبثا قل ما تنهض به الهمة وبعد فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكرا وآخرها أجرا فما تقول في هذا الداء قال

له منكه ما أرى له دواء أنجع من الصبر ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك قال يحيي قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تعهدنا فافعل قال منكه لو أمكنني تخليف الروح عندك ما بخلت بذلك فانما كانت الايام تحسن لي بسلامتك * قال الفضل كان يحيي يقول دخلنا في الدنيا دخولا أخرجنا منها * وقرأت في كتاب للهند انما مثل السلطان في قلة وفائه للاصحاب وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البغي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر * والعرب تقول السلطان ذو عدوان وذو بدوان وذو تدرا يريدون أنه سريع الانصراف كثير البدوات هجوم على الامور * قال معاذ بن مسلم رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال يا عبد الرحمن هات نعلي فجاء بها فقال يامعاذ ضعها في رجلي فألبسته اياها فحقد ذلك أبو مسلم * ووجه أبو جعفر يقطين ابن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الاموال فقال أبو مسلم افعلها ابن سلامة الفاعلة لا يكفني فقال يقطين عجلت أيها الامير قال وكيف قال امرني أن أحصي الاموال ثم أسلمها اليك لتعمل فيها برأيك ثم قدم يقطين على المنصور فأخبره فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط معرفة برذونه ويقول بالفارسية كلاماً معناه ما تغني المعرفة اذا لم يقدر على دفع المحتوم ثم قال * جارة ذيلها * تدعو ياويلها * بدجلة أو حولها * كأنا بعد ساعه * قد صرنا في دجله * قال المنصور ثلاث كن في صدري شفى الله منها كتاب أبي مسلم الي وأنا خليفة عافانا الله واياك من السوء ودخول رسوله علينا وقوله أيكم ابن الحارثية وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط * قال المنصور لسلم بن قتيبة ماترى في قتل أبي مسلم فقال سلم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا أبا أمية * قال أبودلامة

أَبَا مُجرِمٍ مَا غَيَّرَ ٱللهُ نِعمَةً عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَهَا ٱلعَبْدُ
أَفِي دَوْلَةِ ٱلمَهْدِيِّ حَاوَلْتَ غَدْرَةً أَلَا إِنَّ أَهْلَ ٱلغَدْرِ آبَاؤكَ ٱلكُرْدُ
أَبَا مُجْرِمٍ خَوَّفْتَنِي ٱلقَتْلَ فَانْتَحَى عَلَيْكَ بِمَا خَوَّفْتَنِي ٱلأَسَدُ ٱلوَرْدُ

* قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت الى ان تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك * وقال

أُسِرُّ وَفَاءً ثُمَّ أُظْهِرُ غَدْرَةً فَمَنْ لِي بِعُذْرٍ يُوسِعُ ٱلنَّاسَ بَاطِنُه

المشاورة والرأي

حدثنا الزيادي قال حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به * وقرأت في التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراءه قال فقال احدهم لا ينبغي للملك أن يستشير منا احدا الا خاليا به فانه أموت للسر واحزم للرأي واجدر بالسلامة واعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى رجل واحد اوثق من افشائه الى اثنين وافشاءه الى ثلاثة كافشائه الى العامة لان الواحد رهن بما أفشى اليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه واذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى الا يظهر رهبة منه ورغبة اليه واذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بخيانة مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه * وقرأت في كتاب الهند ان ملكا استشار وزراء له فقال احدهم الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بموادّه من الأنهار وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجنود وللاسرار منازل منها ما يدخل الرهط فيه ومنها ما يستعان فيه بقوم ومنها ما يستغنى فيه بواحد وفي تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل والمستشير وان كان افضل رأيا من المشير

فانه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوءًا واذا كان الملك محصناً لسره بعيدا من ان يعرف ما في نفسه متخيرا للوزاء مهيباً في انفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المريب مقدرا لما يفيد وينفق كان خليقا لبقاء ملكه ولا يصلح لسرنا هذا الا لسانان واربع آذان ثم خلا به * قال ابو محمد كتبت الى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه لم تزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قبول النصحاء ويستهدون العيوب ويستشيرون صواب الرأي من كل حتى الامة الوكعاء ومن احتاج الى اقامة دليل على ما يدعيه من مودته ونقاء طويته فقد اغناني الله عن ذلك بما اوجبه الاضطرار اذ كنت ارجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال * وفي فصل آخر وقد تحملت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما اعلم ان عرضت بالرأي ولم استشر واحللت نفسي محل الخواص ولم أحل ونزعت بي النفس حين جاشت وضاقت لما نسمع عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك وحين رأيت لسان عدوك منبسطاً لما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ورأيت وليك معكوما عن الاحتجاج اذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون بضروب القول في أمرك ولا شيء أضر على السلطان في حال ولا انفع في حال منهم وبما يجريه الله على السنتهم تسير الركبان وتبقي الاخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الاعقاب وظاهر الخبر عندهم اعدل من شهادة العدول الثقات * وفي فصل منه * وسائس الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامة وافهام الجاهل وارضاء المحكوم عليه والممنوع مما يسئل بتعريفه من أين منع والناس لا يجتمعون على الرضا اذا جمع لهم اسباب الرضا فكيف اذا منعوا بعضها ولا يعذرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبس وأخوك من صدقك وارتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما حضرك * قال زياد لرجل يشاوره لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد ابدعت بهم خصلتان اضاعة السر واخراج النصيحة وليس موضع السر الا أحد رجلين رجل آخرة يرجو ثواب الله أو رجل دنيا يرجو شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وقد عجمتها لك * وكتب بعض الكتاب اعلم ان الناصح

لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ومثل لك الاحوال المخوفة عليك وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفئا لرجائك وشكرك ازاء النعمة عليك وان الغاش لك الحاطب عليك من مد لك في الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم وجرى معك في عنانك منقادا لهواك * وفي فصل اني وان كنت ظنينا عندك في هذه الحال ففى تدبرك صفحات هذه المشورة ما دلك على أن مخرجها عن صدق واخلاص * ابراهيم بن المنذر قال استشار زياد ابن عبيد الله الحارثى عبيد الله بن عمر في أخيه ابي بكر ان يوليه القضاء فأشار عليه فبعث الى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبى بكر فقال ابو بكر لعبيد الله أنشدك بالله اترى لى ان الي القضاء قال اللهم لا قال زياد سبحان الله استشرتك فأشرت على به ثم أسمعك تنهاه قال أيها الامير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك واستشارنى فاجتهدت له رأيى ونصحته * كان نصر ابن مالك على شرط أبى مسلم فلما جاءه أذن أبى جعفر في القدوم عليه استشاره فنهاه عن ذلك وقال لا آمنه عليك قال له ابو جعفر لما صار اليه استشارك ابومسلم في القدوم على فنهيته قال نعم قال وكيف ذلك قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن ابيه محمد بن على قال لا يزال الرجل يزاد في رأيه ما نصح لمن استشاره وكنت له كذلك وانا اليوم لك كما كنت له * قال معاوية لقد كنت القى الرجل من العرب أعلم ان في قلبه على ضغنا فأستشيره فيثير الى منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعينني وأستنجده فينجدني * وقرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه وهو في حبسه عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في عدوك فرصة الا انتهزها ولا لعدوك فيك فرصة الا حصنها ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأي غيرك فان أحمدت اجتنيت وان ذممت نفيت فان في ذلك خصالا منها انه ان وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك وان خالف رأيك عرضته على نظرك فان رأيته معتليا لما رأيت قبلت وان رأيته متضعا عنه استغنيت ومنها انه يجدد لك النصيحة

ممن شاورت وان أخطأ و يمحض لك مودته وان قصر * وفي كتاب الهند من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر * وفي آداب ابن المقفع لا تفرقن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الي رأي غيرك فيقطك ذاك من المشاورة فانك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به ولو انك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الالباء أن يقال لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأى من اخوانه * قال عمر بن الخطاب الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مرائر لا يكاد ينتقض * وقال أشجع

رَأْيٌ سَرَى وَعُيُونُ ٱلنَّاسِ هَاجِعَةٌ   مَا أَخَّرَ ٱلْحَزْمَ رَأْيٌ قَدَّمَ ٱلْحَذَرَا

كتب الحجاج الي المهلب يعجله في حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره * وقيل لعبد الله بن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج تكلم فقال ماأنا والرأي الفطير والكلام القضيب * وقال أيضا خمير الرأي خير من فطيره ورب شيء غابه خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه * وقيل لآخر تكلم فقال ما اشتهي الخبز الا بائتا * كان ابن هبيرة يقول اللهم اني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره وممن لا يلتمس خالص مودتك الا بالتأتي لموافقة شهوتك ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك * وكان يقال من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة * وكان يقال لا تستشر معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء * وكان يقال لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول * وقالوا لا رأي لحاقن ولا لحازق وهو الذي ضغطه الخف ولا لحاقب وهو الذى يجد رزا في بطنه * وقالوا أيضا لاتشاور من لادقيق عنده * وكان بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا في الرأي دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطيء مرازبتك وتعاقبنا

فيقول نعم انهم لم يخطئوا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا أخطأوا * وكان يقال ان النفس اذا أحرزت قوتها ورزقها اطمأنت * وقال كعب لاتستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم * قال الشاعر

وَأَنفعُ من شاوَرْتَ منْ كَانَ نَاصحاً شفيقاً فَأَبصرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ
وَليسَ بِشَافِيكَ ٱلشفِيقُ وَرَأْيُهُ غريبٌ وَلا ذُوٱلرَّأْيِ وَٱلصدرُ وَاغِرُ

ويقال علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة * وقال آخر

إِذَا بَلَغَ ٱلرَّأْيُ ٱلنَّصيحةَ فَٱستَعِنْ بِرَأْيِ نَصيحٍ أَوْ نَصيحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَحْسَبِ ٱلشُّورَى عليكَ غضَاضَةً فَإِنَّ ٱلخَوَافِي وَافِدَاتُ ٱلقَوَادِمِ
وَخلِّ ٱلهُوَيْنَا للضَّعِيفِ وَلَا تكُنْ نَؤُوماً فَإِنَّ ٱلحرَّ لَيسَ بِنَائِمِ
وَأَدْنِ مِنَ ٱلقُرْبَى ٱلمُقرَّبَ نَفسَهُ وَلَا تُشْهِدِ ٱلشُّورَى ٱمْرءاً غَيْرَ كَاتِمِ
وَمَا خيرُ كَفٍّ أَمسَكَ ٱلغُلُّ أُختَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقَائِمِ
فَإِنَّكَ لَنْ تَستَطْرِدَ ٱلهَمَّ بِٱلمُنَى وَلَنْ تَبْلُغَ ٱلعُلْيَا بِغَيْرِ ٱلمَكَارِمِ

* قال أعرابي ما غبنت قط حتى يغبن قومي قيل وكيف ذلك قال لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم * وقيل لرجل من بني عبس ما أكثر صوابكم فقال نحن الف رجل وفينا رجل حازم ونحن نطيعه فكأنا الف حازم * ويقال ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه الا حزم أو توان * وقال القطامي في معصية الناصح

وَمَعْصِيَةُ ٱلشَّفِيقِ عَلَيْكَ ممَّا يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ ٱستِمَاعَا
وَخَيْرُ ٱلأَمْرِ مَا ٱستَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ ٱتِّبَاعَا
كَذَاكَ وَمَا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ إِلَّا إِلَى مَا جَرَّ غَاوِيهِمْ سِرَاعَا
تَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَنِ ٱستَرَكُّوا وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ ٱلمِصَاعَا

وأنشدني الرياشي لآخر

وَمَوْلًى عَصَانِي وَٱستَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطَعْ بِٱلبَقَّتَيْنِ قَصِيرُ

فَلَمَّا رَأَى أَنْ غبَّ أَمْرِي وَأَمْرُهُ ... وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ ٱلْأُمُورِ صُدُورُ

تَمَنَّى بَئِيساً أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي ... وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ ٱلْأُمُورِ أُمُورُ

وقال سبيع لاهل اليمامة يا بني حنيفة بعداً لكم كما بعدت عاد وثمود أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم وأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ومن تهمتي الندامة وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع وأصبح ما فات غير مردود وما بقي غير مأمون واني لما رأيتكم تتهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ ووهن الموعوظ وكنتم كأنما يعني بما أنتم فيه غيركم * وأشار رجل على صديق له برأي فقال له قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذي يخلط وعلو كلامه بمره وحزنه بسهله ويحرك الاشفاق منه ماهو ساكن من غيره وقد وعيت حصح فيه وقبلته اذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته وصافي غيبه الما زلت بحمد الله الى كل خير طريقاً منهجا ومهيعاً واضحاً . وكتب عثمان الى علي حين أحيط به أما بعد فأنه قد جاوز الماء الزبي و بلغ الحزام الطبيين وقد تجاوز الامر بي قدره

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ... وَإِلاَّ فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ

وقال أوس بن حجر

وَقَدْ أَعْتِبُ ٱبْنَ ٱلْعَمِّ إِنْ كُنْتُ ظَالِمًا ... وَأَغْفِرُ عَنْهُ ٱلْجَهْلَ إِنْ كَانَ أَجْهَلَا

وَإِنْ قَالَ لِي مَاذَا تَرَى يَسْتَشِيرُنِي ... يَجِدْنِي ٱبْنُ عَمِّي مِخْلَطَ ٱلْأَمْرِ مِزْيَلَا

أُقِيمُ بِدَارِ ٱلْحَزْمِ مَادَامَ حَزْمُهَا ... وَأَحْرَى إِذَا حَالَتْ بِانْ أَتَحَوَّلَا

وَأَسْتَبْدِلُ ٱلْأَمْرَ ٱلْقَوِيَّ بِغَيْرِهِ ... إِذَا عَقْدُ مَأْفُونِ ٱلرِّجَالِ تَحَلَّلَا

وكان يقال أناة في عواقبها درك خير من معاجلة في عواقبها فوت · وانشدني الرياشي

وَعَاجِزُ ٱلرأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ   حَتَّى إِذا فاتَ أَمرٌ عاتَبَ ٱلقَدرَا

وكان يقال رو بحزم فاذا استوضحت فاعزم

﴿الاصابة بالظن والرأي﴾

كان ابن الزبير يقول لاعاش بخير من لم ير برأيه مالم ير بعينه · وسئل بعض الحكماء ما العقل فقال الاصابة بالظن ومعرفة مالم يكن بما كان · وكان يقال كفى مخبرا عما مضى ما بقي وكفى عبرا لاولي الالباب ما جربوا · وكان يقال كل شيء محتاج الى العقل والعقل محتاج الى التجارب · ويقال من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه · وقال أوس بن حجر

ٱلأَلمَعِيُّ ٱلَّذِي يَظنُّ لَكَ ٱلـ   ـظَنَّ كَأَنْ قَدْ رأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال آخر

وأَبغِي صَوَابَ ٱلظَّنِّ أَعلَمُ أَنَّهُ   اذا طَاشَ رَأْيُ ٱلمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُه

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عبد الله بن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق · ويقال ظن الرجل قطعة من عقله · ويقال الظنون مفاتيح اليقين · وقال بعض الكتاب

أَصُونُكَ أَن أَظُنَّ عَلَيْكَ ظَنًا   لِأَنَّ ٱلظَّنَّ مِفتَاحُ ٱليَقِينِ

وقال الكميت

مِثْلُ ٱلتَّدَبُّرِ فِي ٱلأَمرِ ٱئْتِنَافُكَهُ   وَٱلمرءُ يَعْجِزُ فِي ٱلأَقوَامِ لَا ٱلحِيَلُ

قال آخر

وَكُنْتَ مَتَى تَهْزُزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ضَرَائِبَ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ ٱلْمَضَارِبِ
تَجَلَّلْتَهُ بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتَهُ بِهِ مِلْءَ عَيْنَيْهِ مَكَانَ ٱلْعَوَاقِبِ

وقال آخر يصف عاقلا

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ ٱلأُمُورِ كَأَنَّمَا يَرَى بِصَوَابِ ٱلرَّأْيِ مَاهُوَ وَاقِعُ

وقال آخر في مثله

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ ٱلأُمُورِ بِرَأْيِهِ كَأَنَّ لَهُ فِي ٱلْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى ٱلْغَدِ

وقال آخر يصف عاقلا

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ ٱلأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وقال جثامة بن قيس يهجو قوماً

أَنْتُمْ أُنَاسٌ عِظَامٌ لَا قُلُوبَ لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ ٱلرُّشْدُ أَمْ غَابَا
وَتُبْصِرُونَ رُؤُوسَ ٱلأَمْرِ مُقْبِلَةً وَلَا تَرَوْنَ وَقَدْ وَلَّيْنَ أَذْنَابَا
وَقَلَّ مَا يَفْجَأُ ٱلْمَكْرُوهُ صَاحِبَهُ إِذَا رَأَى لِوُجُوهِ ٱلشَّرِّ أَسْبَابَا

وقال آخر في مثله

لَا يَحْذَرُونَ ٱلشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ ٱلأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرَا

ويقال ظن العاقل كهانة * وفي كتاب للهند الناس حازمان وعاجز فاحد الحازمين الذي اذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه واحزم منه العارف بالامر اذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه والعاجز في تردد وتمن حائر لا يأتمر رشيدا ولا يطيع مرشدا

قال الشاعر

وَإِنِّي لَأَرْجُو ٱللّٰهَ حَتَّى كَأَنَّنِي أَرَى بِجَمِيلِ ٱلظَّنِّ مَا ٱللّٰهُ صَانِعُ

وقال آخر

وَغِرَّةُ مَرَّةٍ مِنْ فِعْلِ غِرٍّ ... وَغِرَّةُ مَرَّتَيْنِ فَعَالُ مُوقِ
فَلَا تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إِنْ تَدَانَى ... وَلَا تَيْئَسْ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلسَّحِيقِ
فَإِنَّ ٱلْقُرْبَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ ... وَيَدْنُو ٱلْبُعْدُ بِٱلْقَدَرِ ٱلْمَسُوقِ
وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ ٱلضَّحْضَاحَ زَلَّتْ ... بِهِ قَدَمَاهُ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْعَمِيقِ
وَمَا ٱكْتَسَبَ ٱلْمَحَامِدَ طَالِبُوهَا ... بِمِثْلِ ٱلْبِشْرِ وَٱلْوَجْهِ ٱلطَّلِيقِ

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دلجة اظنك أحمق قال أحمق ما يكون الشيخ اذا عمل بظنه · ونقش رجل على خاتمه الخاتم خير من الظن · ومثله طينه خير من ظنه

﴿ اتباع الهوى ﴾

كان يقال الهوى شريك العمي · وقال عامر بن الظرب الرأي نائم والهوى يقظان ولذلك يغلب الرأي الهوى · وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ(أفرأيت من اتخذ الهه هواه) · وقال هشام بن عبدالملك ولم يقل غيره

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ ٱلْهَوَى قَادَكَ ٱلْهَوى ... إِلَى بَعْضِ مَافِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

وقال بزرجمهر اذا اشتبه عليك امران فلم تدر في أيهما الصواب فانظر أقربهما الى هواك فاجتنبه · كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد الى بلاد الحبشة ومع عمرو امرأته فوقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة وخرج فلما وردا بلاد الحبشة سعى عمرو بعمارة الى النجاشي وأخبره انه يخالف الى بعض نسائه فدعا النجاشي بالسواحر فنفخن في احليله فهام مع الوحش وقال عمرو في ذلك

تَعَلَّمْ عِمَارًا أَنَّ مِنْ شَرِّ شِيمَةٍ ... لِمِثْلِكَ أَنْ يُدْعَى ٱبْنَ عَمٍّ لَهُ ٱبْنَمَا

وَإِن كُنْتَ ذَا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرَجَّلاً ... فَلَسْتَ بِرَأْيِ لِابْنِ عَمِّكَ مُحْرِمَا

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَتْرُكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ ... وَلَمْ يَعْصِ قَلْبًا غَاوِيًا حَيْثُ يَمَّمَا

قَضَى وَطَرًا مِنْهُ يَسِيرًا وَأَصْبَحَتْ ... إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهُ تَمْلَأُ الفَمَا

وقال حاتم طيء في مثله

وَإِنَّكَ انْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وقال آخر

جَارَ ٱلْجُنَيْدُ عَلَيَّ مُحْتَكِمًا ... جَهْلًا وَلَسْتُ بِمَوْضِعِ ٱلظُّلْمِ

أَكَلَ ٱلْهَوَى حُجَجِي وَرُبَّ هَوًى ... مِمَّا سَيَأْكُلُ حُجَّةَ ٱلْخَصْمِ

قال اعرابي الهوى هوان ولكن غلط باسمه. وقال الزبير بن عبد المطلب

وَأَجْتَنِبُ ٱلْمَقَاذِعَ حَيْثُ كَانَتْ ... وَاتْرُكُ مَا هَوِيتُ لِمَا خَشِيتُ

وقال البريق الهذلي

أَبِنْ لِي مَا تَرَى وَٱلْمَرْءُ تَأْبَى ... عَزِيمَتُهُ وَيَغْلِبُهُ هَوَاهُ

فَيَعْمَى مَا يَرَى فِيهِ عَلَيْهِ ... وَيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ لَا يَرَاهُ

وكان يقال اخوك من صدقك واتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك

﴿ السر وكتمانه واعلانه ﴾

حدثني احمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الخصيب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود . وكانت الحكماء تقول سرك من دمك . والعرب تقول من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه . حدثني

عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب عن عمه الاصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال دخل ابن أبي محجن الثقفي على معاوية فقال له معاوية أبوك الذي يقول

إِذَا مُتُّ فَادْفِنِّي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا

وَلاَ تَدْفِنَنِّي فِي ٱلْفَلاَةِ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ وَرَاءَ ٱلْمَوْتِ أَلاَّ أَذُوقَهَا

فقال ابن أبي محجن لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره . فقال معاوية وما ذاك قال قوله

لاَ تَسْأَلِي ٱلْقَوْمَ مَا مَالِي وَمَا حَسَبِي ... وَسَائِلِي ٱلْقَوْمَ مَا حَزْمِي وَمَا خُلُقِي

ٱلْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمُ ... إِذَا تَطِيشُ يَدُ ٱلرِّعْدِيدَةِ ٱلْفَرِقِ

أُعْطِي ٱلسِّنَانَ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ حِصَّتَهُ ... وَعَامِلَ الرُّمْحِ أَرْوِيهِ مِنَ ٱلْعَلَقِ

قَدْ أَرْكَبُ الْهَوْلَ مَسْدُولاً عَسَاكِرُهُ ... وَأَكْتُمُ السِّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

وأنشدني للصلتان العبدي

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلاَثَةِ غَيْرُ الْخَفِي

وكان علي صلوات الله عليه يتمثل بهذين البيتين

وَلاَ تُفْشِ سِرَّكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ... فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرِّجَالِ ... لاَ يَتْرُكُونَ أَدِيماً صَحِيحَا

وقال الشاعر

وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَاتَمَا بِهَوَاهُمَا ... جَعَلاَ الْقُلُوبَ لِمَا تُجِنُّ قُبُورَا

يَتَلاَحَظَانِ تَلاَحُظاً فَكَأَنَّمَا ... يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجُفُونِ سُطُورَا

وقال مسكين الدارمي

أُوَاخِي رِجَالاً لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ ... عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِمَاعُهَا

يَظَلُّونَ شتَّى فِي البِلادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرِّجالَ انصِدَاعُهَا

وقال آخر

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الاسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ اوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أسر رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له أفهمت قال بل نسيت . قيل لاعرابي كيف كتمانك للسر قال ما قلبي له الا قبر . وقيل لمزبد أي شيء تحت حضنك فقال يا أحمق لم خبأته . وقال الشاعر

إِذَا مَاضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
إِذَا عَاتَبْتُ مَن أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ
وَإِنِّي حِينَ اسأَمُ حَمْلَ سِرِّي وَقَدْ ضَمَّنْتُهُ صَدْرِي سَؤُومُ

قيل لرجل كيف كتمانك للسر قال أجحد الخبر وأحلف المستخبر . وكان يقال من وهى الأمر إعلانه قبل احكامه . وقال الشاعر

إِذَا أَنتَ حَمَّلْتَ الخَؤُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَاشَرَّ مُسْنَدِ

وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلاسرا فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدرا حين استودعته . وقال

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِندَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ

وكان يقال من ضاق قلبه اتسع لسانه . وقال الوليد بن عتبة لابيه ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك أفلا أحدثك به قال لا يا بني انه من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه فلا تكونن مملوكا بعد اذ كنت مالكا قال ان هذا ليجرى بين الرجل وابيه قال لا ولكني أكره أن تذلل لسانك باحاديث السر فحدثت به معاوية فقال يا وليد

اعتقك أخي من رق الخطأ · وفي كتب العجم ان بعض ملوك فارس قال صونوا أسراركم فانه لا سر لكم الا في ثلاثة مواضع مكيدة تحاول أو منزلة تزاول أو سريرة مدخولة تكتم ولا حاجة باحد منكم في ظهور شيء منها · وكان يقال ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك · وقال جميل بن معمر

أَمُوتُ وَأَلْقَى اللهَ يَا بُثْن لَمْ أَبُحْ بِسِرِّكِ وَالْمُسْتَخْبِرُونَ كَثِيرُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِباً السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِي فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ اهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

يريد انه ليس يحمله أحد مثلي في صيانته وستره أي فلا أبديه لاحد · وقال زهير

السِّتْرُ دُونَ الفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر

فَسِرِّي كَإِعْلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلَ ضَوْءِ نَهَارِيَا

وقال آخر لاخ له وحدثه بحديث اجعل هذا في وعاء غير سرب أي غير سائل · يقال للقائل على السامع جمع البال والكتمان وبسط العذر * وكان يقال الرعاية خير من الاسترعاء · أتى رجل عبيد الله بن زياد فأخبره ان عبد الله بن همام السلولى سبه فارسل اليه فأتاه فقال يا ابن همام ان هذا زعم انك قلت كذا وكذا فقال ابن همام

أَنتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِياً فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلَا عِلْمِ
وَإِنَّكَ فِي الأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ لَفِي مَنْزِلٍ بَيْنَ الخِيَانَةِ وَالإِثْمِ

وقال آخر

إِخفِضِ الصوتَ إِنْ نَطَقتَ بِلَيلٍ ... وَٱلتفتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ ٱلْكَلامِ

وقال بعض الاعراب

وَلاَ أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لَكِنْ أَنُمُّهَا ... وَلاَ أَدَعُ الأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي

وَإِنَّ قَلِيلَ العَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيلَهُ ... تُقَلِّبُهُ الأَسْرَارُ جَنْبًا الَى جَنْبِ

وقال أبو الشيص

لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمُ ... غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْ طَيَّ ٱلْقَرَاطِيسِ

أَوْ طَائِرًا سَأُحَلِّيهِ وَأَنْعَتُهُ ... مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودٌ بَرَاثِنُهُ مِيلٌ ذَوَابِلُهُ ... صُفْرٌ حَمَالِقُهُ فِي ٱلْحُسْنِ مَغْمُوسِ

قَدْ كَانَ هَمَّ سُلَيْمَانٌ لِيَذْبَحَهُ ... لَوْلاَ سِعَايَتُهُ يَوْمًا بِبِلْقِيسِ

وقال أيضا

أُفضِي إِلَيْكَ بِسِرِّهِ قَلَمٌ ... لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكَى قَلَمُهُ

وقال مسلم بن الوليد في الكتاب يأتيك فيه السر

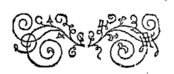
ٱلْحَزْمُ تَخْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ ... وَإِنَّمَا ٱلْحَزْمُ سُوءُ ٱلظَّنِّ بِٱلنَّاسِ

إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ ... فَٱجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أَرْمَاسِ

وقال آخر

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَحْفَظُ سِرَّهُ ... وَلاَ غَرَّنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمُ

حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُشِيعُهُ ... وَمَا ٱلنَّاسُ الاَّ جَاهِلٌ وَحَلِيمُ



﴿ الكتاب والكتابة ﴾

حدثنا اسحاق بن راهويه عن وهب بن جرير عن أبيه عن يونس بن عبيد الله عن الحسن عن عمرو بن ثعلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أشراط الساعة أن يفيض المال ويظهر العلم ونفشو التجار * قال عمر وان كنا لنلتمس في الحواء العظيم الكاتب و يبيع الرجل البيع فيقول حتى استأمن تاجر بني فلان . حدثنا أحمد بن الخليل عن اسمعيل بن أبان عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن محمد ابن زاذان عن أم سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي في بعض حوائجه فقال ضع القلم على أذنك فهو أذكر للملي . وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال كان ادريس النبي صلي الله عليه وسلم أول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود . حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض بن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لابي موسى ادع لي كاتبك ليقرأ لنا صحفا جاءت من الشام فقال أبو موسى انه لا يدخل المسجد قال عمر أبه جنابة قال لا ولكنه نصراني قال فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك قاتلك الله أما سمعت قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الا اتخذت رجلا حنيفيا فقال أبو موسى له دينه ولي كتابته فقال عمر لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله . حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عيسي بن يونس قال حدثنا أبو حيان التيمي عن أبي زنباع عن أبي الدهقانة قال ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانيا فقيل له لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذاً بطانة من دون المومنين . حدثني أبو حاتم قال مرامر بن مروه من أهل الانبار وهو الذي وضع كتابة العربية ومن الانبار انتشرت في الناس . حدثني أبو سهل عن الطنافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصبحت جعلني

الله فداك قال ما تركت اعرابيتك بعد قال عبد الملك بن مروان لاخيه عبد
العزيز حين وجهه الي مصر تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك فان الغائب عنك
يخبره عنك كاتبك والمتوسم يعرفك بحاجبك والداخل عليك يعرفك بجليسك ·
ابن أبي الزناد عن أبيه قال كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب الى عبد
الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه فكتب اليه انه ليخيل
الي اني لو كتبت اليك ان تعطي رجلا شاة لكتبت الى اضأن أم ماعز ولو كتبت
اليك بأحدهما لكتبت أذكر أم أنثى ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت أصغير أم
كبير فاذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني في مظلمة · وكتب أبو جعفر الى سلم بن
قتيبة يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وعقر نخلهم فكتب اليه بأي ذلك نبدأ
أبالنخل أم بالدور فكتب اليه أبو جعفر أما بعد فاني لو أمرتك بافساد ثمرهم
لكتبت الي تستأذن في أيه تبدأ أبالبرني أم بالشهريز وعزله وولى محمد بن سليمان
*وكان يقول للكاتب على الملك ثلاثة رفع الحجاب عنه واتهام الوشاة عليه وافشاء
السر اليه · كانت العجم تقول من لم يكن عالما باجراء المياه وبحفر فرض الماء
والمسارب وردم المهاوي ومجاري الايام في الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله
ووزن الموازين وذرع المثلث والمربع ومختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي
والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال
كتابته · قال ميمون بن ميمون اذا كان لك الى كاتب حاجة فليكن رسولك اليه
الطمع وقال اذا آخيت الوزير فلا تخش الامير · وفي كتاب للهند اذا كان الوزير
يساوي الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك وان لم يفعل
فليعلم انه هو المصروع · المدائني قال خلا زياد يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب
له يكتب وابنه عبيد الله فنعس زياد فقال لعبيد الله تعاهد هذا لا يكتب شيئا
ونام فوجد عبيد الله مسا من البول فكره ان يوقظ أباه وكره أن يخلي بين الكاتب
فشد ابهاميه بخيط وختمه وقام لحاجته · قال أبو عباد الكاتب ما جلس أحد قط
بين يدي الا تمثل لي اني جالس بين يديه · وقرأت في التاج ان ابرويز قال
لكاتبه اكتم السر وأصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر فان

لك علي أن لا أعجل بك حتى أستأني لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أطمع فيك أحدا فيغتالك وأعلم انك بمنجاة رفعة فلا تحطها وفي ظل مملكة فلا تستزيله قارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مشاحة من عدوك واقصد الى الجميل ادراعا لغدك وتحصن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسن عندي بما قدرت عليه من حسن ولا تسرعن الالسنة فيك ولا تقبحن الاحدوثة عنك وصن نفسك صون الدرة الصافية واخلصها اخلاص الفضة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعة لا تدعن أن ترفع الي الصغير فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاغلي عن الصغير هذب أمورك ثم القني بها واحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئن علي فأمتعض ولا تنقبض مني فأتهم ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه واذا فكرت فلاتعجل واذا كتبت فلا تعذر ولا تستعين بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تلبسن كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى أكرم لي كتابك عن ثلاث خضوع يستخفه وانتشار يثبجه ومعان تقعد به واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول وليكن بسطة كتابك على السوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك ولا يكن ما تملك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كعلوه وفائقا كفوقه واعلم ان جماع الكلام كله خصال أربع سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه الخلال دعائم المقالات ان التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم يتم فاذا أمرت فاحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فاسجح واذا أخبرت فحقق فانك اذافعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشتبه عليك وارده ولم يعجزك منه صادره اثبت في دواوينك ما أدخلت واحص فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرد لما تعطي ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء ولا الأناة عن التقدم ولا تخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن اخراج الكثير في الحق وليكن ذلك كله عن مؤامرتي

قال رجل لبنيه يابني تزيوا بزي الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . قال الكسائي لقيت اعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن

الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال تالله ما رأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنب أخرى أشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك . وقال ابن الاعرابي رآني اعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من الفاظه فقال انك لحتف الكلمة الشرود . وقال رجل من اهل المدينة جلست الى قوم ببغداد ما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم . وكتب بعض الكتاب الى صديق له وصل الى كتابك فما رأيت كتابا اسهل فنونا ولا املس متونا ولا اكثر عيونا ولا احسن مقاطع ومطالع ولا اشد على كل مقطع ومفصل جزاء منه انجزت فيه عدة الرأي وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والامل فيك مبلوغا . ويقال عقول الرجال في اطراف اقلامها . ويقال القلم احد اللسانين وخفة العيال احد اليسارين وتعجيل اليأس احد الظفرين واملاك العجين احد الريعين وحسن التقدير احد الكاسبين واللبن احد اللحمين . وقد يقال المرق احد اللحمين . قيل لبعضهم ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب العجم ان موبذان موبذ وصف الكتاب فقال كتاب الملوك عيبتها المصونة عندهم وآذانهم الواعية والسنتهم الشاهدة لانه ليس احد اعظم سعادة من وزراء الملوك اذا سعدت الملوك ولا اقرب هلكة من وزراء الملوك اذا هلكت الملوك فترفع التهمة عن الوزراء اذ صارت نصائحهم لانفسهم وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لانفسهم فلا تتهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لان زوال الفتهما زوال نعمتهما وان التئام الفتهما صلاح خاصتهما * وقال

لَئِنْ ذَهَبْتُ إِلَى ٱلْحَجَّاجِ يَقْتُلُنِي … إِنِّي لَأَحْمَقُ مَنْ تَحْدِي بِهِ ٱلْعِيرُ

مُسْتَحْقِباً صُحُفاً تَدْمِي طَوَابِعُهَا … وَفِي ٱلصَّحَائِفِ حَيَّاتٌ مَنَاكِيرُ

وقال آخر في القلم

عَجِبْتُ لِذِي سِنَّيْنِ فِي ٱلْمَاءِ نَبْتُهُ … لَهُ أَثَرٌ فِي كُلِّ مِصْرٍ وَمَعْمَرِ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضَئِيلُ ٱلرُّوَاءِ كَبِيرُ ٱلْغَنَاءِ … مِنَ ٱلْبَحْرِ فِي ٱلْمَنْصَبِ ٱلْأَخْضَرِ

كَمِثْلِ أَخِي ٱلْعِشْقِ فِي شَخْصِهِ ... وَفِي لَوْنِهِ مِنْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ
يَمُرُّ كَهَيْئَةِ مَرِّ ٱلشُّجَا ... عِ فِي دِعْصِ مَحْنِيَّةٍ أَعْفَرِ
إِذَا رَأْسُهُ صَحَّ لَمْ يَنْبَعِثْ ... وَجَازَ ٱلسَّبِيلَ وَلَمْ يُبْصِرِ
وَإِنْ مُدْيَةٌ صَدَعَتْ رَأْسَهُ ... جَرَى جَرْيَ لَا هَائِبٍ مُقْصِرِ
يُقَضِّي مَآرِبَهُ مُقْبِلاً ... وَتَحْسِبُهَا هَيْئَةَ ٱلْمُدْبِرِ
تَجُودُ بِكَفِّ فَتًى كَفُّهُ ... تَسُوقُ ٱلثَّرَاءَ إِلَى ٱلْمُعْسِرِ

وقال حبيب الطائي في مثله

لَكَ ٱلْقَلَمُ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي بِشَبَاتِهِ ... يُصَابُ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْكُلَى وَٱلْمَفَاصِلُ
لُعَابُ ٱلْأَفَاعِي ٱلْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ... وَأَرْيُ ٱلْجَنَى ٱشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا ... بِآثَارِهِ فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِذَا ٱسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ... وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا ٱمْتَطَى ٱلْخَمْسَ ٱللِّطَافَ وَأُفْرِغَتْ ... عَلَيْهِ شِعَابُ ٱلْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ ٱلْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ ... لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ ٱلْخِيَامِ ٱلْجَحَافِلُ
تَرَاهُ جَلِيلاً شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ... ضَنًى وَسَمِيناً خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم

وَأَسْمَرَ طَاوِي ٱلْكَشْحِ أَخْرَسَ نَاطِقٍ ... لَهُ ذَمَلَانٌ فِي بُطُونِ ٱلْمَهَارِقِ
إِذَا ٱسْتَعْجَلَتْهُ ٱلْكَفُّ أَمْطَرَ خَالُهُ ... بِلَا صَوْتِ إِرْعَادٍ وَلَا ضَوْءِ بَارِقِ
كَأَنَّ ٱللَّآلِي وَٱلزَّبَرْجَدَ نُطْقُهُ ... وَنَوْرَ ٱلْخُزَامَى فِي بُطُونِ ٱلْحَدَائِقِ

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي ٱلنَّدِيِّ كَلَامُهُ ٱلْـ ... ـمَنْظُومُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

وَإِذَا دَجَتْ أَقْلَامُــهُ ثُمَّ ٱنْتَجَتْ ... بَرَقَتْ مَصَابِيحُ ٱلدُّجَى فِي كُتْبِهِ

بِٱللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ ... مِنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ

حِكَمٌ فَسَائِحُهَا خِلَالَ بَنَانِهِ ... مُتَدَفِّقٌ وَقَلِيبُهَا فِي قَلْبِهِ

كَٱلرَّوْضِ مُؤْتَلِفٌ بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ ... وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وَنَاطِقٍ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ ... كَأَنَّهُ فَخِذٌ نِيطَتْ إِلَى قَدَمِ

يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ فِي ٱلْـكَلَامِ كَمَا ... يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مَنْطِقُ ٱلْقَلَمِ

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة أبنوس وكتب اليه

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أُمَّ ٱلْمَنَايَا ... وَٱلْعَطَايَا زَنْجِيَّةَ ٱلْأَحْسَابِ

فِي حَشَاهَا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ حِرَابٌ ... وَهْيَ أَمْضَى مِنْ مُرْهَفَاتِ ٱلْحِرَابِ

وقال بن أبي كريمة في الدواة والقلم

وَمُسْوَدَّةِ ٱلْأَرْجَاءِ قَدْ خُضْتُ مَاءَهَا ... وَرَوَّيْتَ مِنْ قَعْرٍ لَهَا غَــيْرَ مُنْبَطِ

خَمِيصِ ٱلْحَشَا يَرْوَى عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ ... أَمِينًا عَلَى سِرِّ ٱلْأَمِيرِ ٱلْمُسَلَّطِ

وقال بعض أهل الادب انما قيل ديوان لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال للكتاب بالفارسية ديوان أي شياطين لحذقهم بالامور ولطفهم فسمي موضعهم باسمهم . وقال آخر انما قيل لمدبر الامور عن الملك وزير من الوزر وهو الحمل يراد انه يحمل عنه من الامور مثل الاوزار وهي الاحمال قال الله عز وجل (ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم) أي أحمالا من حليهم ولهذا قيل للاثم وزر شبه بالحمل على الظهر قال الله تبارك وتعالى (ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك) وكان الناس يستحسنون لابي نواس قوله

يَا كَاتِبًا كَتَبَ ٱلْغَدَاةَ يَسُبُّنَا ... مَنْ ذَا يُطِيقُ بَرَاعَةَ ٱلْـكُتَّابِ

لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ سَبَبْتَنِي ... حَتَّى شَكَلْتَ عَلَيْهِ بِالْإِعْرَابِ

وَأَرَدْتَ إِفْهَامِي فَقَدْ أَفْهَمْتَنِي ... وَصَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ غَيْرَ مُحَابِ

وقال آخر

يَا كَاتِبًا تَنْثُرُ أَقْلَامُهُ ... مِنْ كَفِّهِ دُرًّا عَلَى الْأَسْطُرِ

وقال عدي بن الرقاع

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

ومنه اخذ الكتاب واتم نعمته عليك وزاد فيها عندك * وقال حاتم طي في معنى قولهم مت قبلك

إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا ... بِمَوْتٍ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ

وقال جرير في معناه

رُدِّي فُؤَادِي وَكُونِي لِي بِمَنْزِلَتِي ... يَا قَبْلَ نَفْسِكِ لَاقَى نَفْسِيَ التَّلَفُ

كتب بعض الملوك الى بعض الكتاب كتابًا دعا له فيه بامتع الله بك فكتب اليه الكاتب

أَحُلْتَ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكْ ... أَمْ نِلْتَ مُلْكًا فَتِهْتَ فِي كُتُبِكْ

أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْـ ... إِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكْ

أَمْ كَانَ مَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ ... فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْنَاكَ مِنْ غَضَبِكْ

إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقَةٍ ... يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكْ

وقال الاصمعي في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشِّرْكُ فِي مَجْلِسٍ ... أَنَارَتْ وُجُوهُ بَنِي بَرْمَكْ

وَإِنْ تُلِيَتْ عِنْدَهُمْ آيَةٌ أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَزْوَكِ

وقال آخر

إِنَّ الْفَرَاغَ دَعَانِي إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَسَاجِدْ
وَإِنَّ رَأْيِي فِيهَا كَرَأْيِ يَحْيَى بْنِ خَالِدْ

مر عبد الله بن المقفع ببيت النار فقال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ

وقال دعبل في أبي عباد

أَوْلَى الْأُمُورِ بِضَيْعَةٍ وَفَسَادِ دَارٌ يُدَبِّرُهَا أَبُو عَبَّادِ
حَنِقٌ عَلَى جُلَسَائِهِ بِدَوَاتِهِ فَمُرَمَّلٌ وَمُضَمَّخٌ بِمِدَادِ
وَكَأَنَّهُ مِنْ دَيْرِ هِرْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سَلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

﴿ خيانات العمال ﴾

حدثنا اسحاق بن راهويه قال ذكر لنا ان امرأة من قريش كان بينها و بين رجل خصومة فاراد أن يخاصمها الى عمر فاهدت المرأة الى عمر فخذ جزور ثم خاصمته اليه فوجه القضاء عليها فقالت يا أمير المؤمنين افصل القضاء بيننا كما يفصل فخذ الجزور فقضى عليها عمر وقال اياكم والهدايا وذكر القصة * قال اسحاق وكان الحجاج استعمل المغيرة بن عبد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس فأهدى اليه رجل سراجاً من شبه و بلغ ذلك خصمه فبعث اليه ببغلة فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل علي صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول ان امري أضوأ من السراج فلما اكثر عليه قال و يلك ان البغلة رمحت السراج فكسرته * حدثنا اسحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سلمة عن الحريري عن ابي نضرة

عن الربيع بن زياد الحارثي انه وفد الى عمر فاعجبته هيئته ونحوه فشكا عمر طعاما غليظا يأكله فقال الربيع يا امير المؤمنين ان احق الناس بطعام طيب وملبس لين ومركب وطيء لانت فضرب رأسه بجريدة وقال والله ما أردت بهذا الا مقاربتي وان كنت لأحسب أن فيك خيرا ألا اخبرك بمثلي ومثل هؤلاء انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا فهل له ان يستأثر عليهم بشيء قال الربيع لا * حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن ابي نجيح قال لما أتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول والله ان الذي أدي الينا هذا لأمين فقال رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله فاذا رتعت رتعوا قال صدقت * حدثنا أبو حاتم عن الاصمعي قال لما أتي علي عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال يا حمراء ويا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري وانشد

هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ ... إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابي اسحاق عن اسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليه أربعا لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ بوابا * ومر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا عاملا له على البحرين فقال أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها وشاطره ماله * وكان يقال لي على كل خائن أمينان الماء والطين * حدثني اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه أن دع لاهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفضل * حدثنا محمد بن عبيد عن هوذة عن عوف عن ابن سيرين * واسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين بمعناه قال لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله قال أبو هريرة لست

بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله قال فمن
أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم قال خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي
تتابعت فقبضتها منه قال أبو هريرة فلما صليت الصبح استغفرت لامير المؤمنين ثم
قال لي عمر بعد ذلك ألا تعمل فقلت لا قال قد عمل من هو خير منك يوسف
فقلت يوسف نبي ابن نبي وانا ابن أميمة أخشى ثلاثا واثنتين قال فهلا قلت
خمسا قلت أخشى أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم وأخشى أن يضرب ظهري
ويشتم عرضي وينزع مالي * حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن ابراهيم
ابن مبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن ابي بردة وهو امير البصرة
فقال ايها الامير اني قرأت في بعض الكتب من أحمق من السلطان ومن اجهل ممن
عصاني ومن أغر ممن اغتر بي أيا راعي السوء دفعت اليك غنما سمانا سجاحافا كلت
اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع *
حدثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العرني القاضي قال حدثني اسماعيل بن
عياش عن ابي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن مخرمة قال اني لتحت منبر عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس اقرؤا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من اهله انه لن يبلغ ذو حق
في حقه ان يطاع في معصية الله الا انه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من اجل
ان يقول المرء حقا وان يذكر بعظيم الا واني ما وجدت صلاح ما ولاني الله الا
بثلاث أداء الامانة والاخذ بالقوة والحكم بما انزل الله الا واني ما وجدت صلاح
هذا المال الا بثلاث أن يؤخذ من حق ويعطى في حق ويمنع من باطل الا وانما
انا في ما لكم هذا كولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
تقرم البهيمة * بلغني عن محمد بن صالح عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن
عمير عن ابيه قال كان زياد اذا ولى رجلا قال له خذ عهدك وسر الى عملك واعلم
أنك مصروف رأس سنتك وانك تصير الي اربع خلال فاختر لنفسك انا ان وجدناك
امرأ ضعيفا امينا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا امانتك وان وجدناك
خائنا قويا استهنا بقوتك واحسنا على خيانتك ادبك فاوجعنا ظهرك واثقلنا غرمك

وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك امينا قويا زدنا في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك واوطأنا عقبك * قال العتبي بعث الى عمر بحلل يقسمها فاصاب كل رجل ثوب نصعد المنبر وعليه حلة والحلة ثوبان فقال ايها الناس الا تسمعون فقال سلمان لا نسمع قال ولم يا أبا عبد الله قال لانك قسمت علينا ثوبا وعليك حلة قال لا تعجل يا ابا عبد الله ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه احد فقال يا عبدالله بن عمر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال نشدتك بالله الثوب الذي اتزرت به هو ثوبك قال اللهم نعم فقال سلمان رضي الله عنه أما الآن فقل نسمع * بلغني عن حفص بن عمران الرازي عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو قال قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس قم فأذكر عليا عليه السلام وتنقصه فقام شداد فقال الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند اهل التقوى آثر من رضاء غيره على ذلك مضى اولهم وعليه يمضي آخرهم ايها الناس ان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان السامع المطيع لا حجة عليه وان السامع العاصي لا حجة له وان الله جل وعز اذا اراد بالناس صلاحا عمل عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وجعل المال في سمحائهم واذا أراد بالعباد شرا عمل عليهم سفهاؤهم وقضي بينهم جهلاؤهم وجعل المال عند بخلائهم وان صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها نصحك يامعاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل فقال له معاوية اجلس وأمر له بمال وقال الست من السمحاء فقال ان كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته افضالا فنعم وان كان مما شاركك فيه المسلمون فأحتجنته دونهم أصبته اقترافا وأسرفته اسرافا فان الله عز وجل يقول (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) مر عمرو بن عبيد بجماعة عكوف فقال ما هذا قالوا سارق يقطع فقال لا اله الا الله سارق السر يقطعه سارق العلانية * ومر طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة

أُرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تَخُبُّ رِكَابُهَا سَحَابَةَ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

اللهم لى ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه أتذكر يوم مر بك طارق في موكبه فقلت ما قلت فقال يابني انهـم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك ان أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم * ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعف عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدراج الضبابي

فَلاَ ٱلسِّجْنُ أَبْـكانِي وَلاَ ٱلقَيْدُ شَفَّنِي ‏ ‏ ‏ ‏ وَلاَ أَنَّنِي مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ أَجْزَعُ

وَلَـكِنَّ أَقْوَامًا أَخَافُ عَلَيْهِمُ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَامُتُّ أَنْ يُعْطُوا ٱلَّذِي كُنْتُ أُمْنَعُ

ثم قال والله ما أسفت على هذه الولاية ولكن أخشى أن يلي هـذه الوجوه من لا يرعى لها حقها * ووجدت في كتاب لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ اني اشركتك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلى أوثق منـك في نفسى فلما رأيت الزمان على ابن عمـك قد كلب والعدو قد حرب قلبت لابن عمك ظهر المجن بفراقه مع المفارقين وخـذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الازل دامية المعزى * وفي الكتاب صح رويدا فكأن قدبلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادى المغـتر بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة * وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة غرتني مجالستك القراء وعمامتك السوداء فلما بلوناك وجـدناك على خـلاف ما أملناك قاتلكم الله أما تمشون بين القبور * قال ابن أحمر يذكر عمال الصدقة

إِنَّ ٱلْعِيَابَ ٱلَّتِي يُخْفُونَ مُشْرَجَةً ‏ ‏ ‏ ‏ فِيهَا الْبَيَانُ وَيُلْوَى عِنْدَكَ ٱلْخَبَرُ

فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ فَحَاسِبْهُمْ مُحَاسَبَةً ‏ ‏ ‏ ‏ لاَ تخفَ عَيْنٌ عَلَى عَيْنٍ وَلاَ أَثَرُ

هلْ فِي ٱلثَّمَانِي مِنَ السَّبْعِينَ مَظْلَمَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَرَبُّهَا بِكِتَابِ اللهِ مُصْطَبِرُ

وقال عبد الله بن همام السلولي

اقِلِّي عَلَيَّ ٱللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَذُمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ ٱلْقَلَاقِسُ

وَسَاعٍ مَعَ ٱلسُّلْطَانِ لَيْسَ بِنَاصِحٍ ... وَمُحْتَرِسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم نحن كما قال الله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) قال بعض الشعراء

مَا ظَنُّكُمْ بِأُنَاسٍ خَيْرُ كَسْبِهِمُ ... مُصَرَّحُ ٱلسُّحْتِ سَمَّوْهُ ٱلْإِصَابَاتِ

وقال أبو نواس في اسمعيل بن صبيح

بَنَيْتَ بِمَا خُنْتَ ٱلْإِمَامَ سِقَايَةً ... فَلَا شَرِبُوا إِلَّا أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ

فَمَا كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ بَائِعَةِ ٱسْتِهَا ... تَعُودُ عَلَى ٱلْمَرْضَى بِهِ طَلَبَ ٱلْأَجْرِ

يريد معنى الحديث ان امرأة كانت في بني اسرائيل تزني بحب الرمان وتتصدق به على المرضى * وقال فيه أيضا لمحمد الامين

أَلَسْتَ أَمِينَ ٱللهِ سَيْفُكَ نِقْمَةٌ ... إِذَا مَاقَ يَوْمًا فِي خِلَافِكَ مَائِقُ

فَكَيْفَ بِإِسْمَعِيلَ يَسْلَمُ مِثْلُهُ ... عَلَيْكَ وَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيْكَ مُنَافِقُ

أُعِيذُكَ بِٱلرَّحْمٰنِ مِنْ شَرِّ كَاتِبٍ ... لَهُ قَلَمٌ زَانٍ وَآخَرُ سَارِقُ

وقال فيه أيضا

أَلَا قُلْ لِإِسْمَعِيلَ إِنَّكَ شَارِبٌ ... بِكَأْسِ بَنِي مَاهَانَ ضَرْبَةَ لَازِمِ

أَتُسْمِنُ أَوْلَادَ ٱلطَّرِيدِ وَرَهْطَهُ ... بِإِهْزَالِ خَلْقِ ٱللهِ مِنْ آلِ هَاشِمِ

وَتُخْبِرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ صَائِمٌ ... وَتَغْدُو بِفَرْجٍ مُفْطِرٍ غَيْرِ صَائِمِ

فَإِنْ يَسْرِ إِسْمَعِيلُ فِي فَجَرَاتِهِ ... فَلَيْسَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِنَائِمِ

ولى حارثة بن بدر سرق فكتب اليه أنس الدؤلي

أَحَارِ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ وِلَايَةً ... فَكُنْ جُرَذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وَبَارِ تَمِيماً بِالْغِنَى إِنَّ لِلْغِنَى ... لِسَانًا بِهِ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقُ

يَقُولُونَ أَقْوَالاً وَلَا يَعْلَمُونَهَا ... وَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

وَلَا تَحْقِرَنْ يَا حَارِ شَيْئًا سَرَقْتَهُ ... فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرَّقُ

فلما بلغت حارثة قال لا يعمى عليك الرشد * حدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن جويرية بن أسماء قال قال فلان ان الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان * قرأت في كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها فاذا لم يطمع منك في الصغير لم يجترأ عليك في الكبير وأبرد البريد في الدرهم ينقص من الخراج ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على ازجائه واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقن دم المزجى وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أحمدت أمره حين عف واعتصم من أن يهلك * وقرأت في التاج أن ابرويز قال لصاحب بيت المال اني لاأحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على ألف ألف درهم لانك انما تحقن بذلك دمك وتعمر به أمانتك فانك ان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين النقصان فيما تأخذ والزيادة فيما تعطي واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والعدة على العدو الا وأنت آمن عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتيمه التي هي عليه فحقق ظني في اختياري اياك أحقق ظنك في رجائك لى ولا تتعوض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة * وكان يقال كفى بالرجل خيانة أن يكون أمينا للخونة * قدم معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له ارفع حسابك فقال أحسابان حساب من الله وحساب منكم لا والله لا

ألي لكم عملا أبداً . ذكر أعرابي رجلا خائناً فقال ان الناس يأكلون أماناتهم لقما وان فلانا يحسوها حسواً . قال بعض السلاطين لعامل له كل قليلا تعمل طويلاً والزم العفاف يلزمك العمل واياك والرشى يشتد ظهرك عند الخصام

القضاء

حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة بن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال يكون عالما قبل أن يستعمل مستشيرا لاهل العلم ملقيا للرثع منصفا للخصم محتملا للائمة . حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسمعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت به العبر ألا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل ألا وان أبغض خلق الله الى الله رجل قمش علما غارا بأغباش الفتنة عميا بها في عيب الهدنة سماه اشباهه من الناس عالما ولم يغن في العلم يوما سالما فكر فاستكثر ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكتنز من باطل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره ان نزلت به احدى المبهمات هيأ حشوا رأيا من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت خطأ لانه لا يعلم أأخطأ أم أصاب خباط عشوات ركاب جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام لامليء والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرظ به . قال ابن شبرمة

مَا فِي ٱلْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ عِنْدَ ٱللَّبِيبِ وَلَا ٱلْفَقِيهِ ٱلْحَاكِمِ
أَهْوَنْ عَلَيَّ إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّةٍ أَوْ بِٱلْكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ ٱلرَّاغِمِ
وَقَضَيْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَثَرًا بِهِ بِنَظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ

الهيثم عن ابن عياش عن الشعبي قال كان أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ثم قضى بالمدائن ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل على المدائن ثم عزله واستقضى أبا قرة الكندي وهو أسيد فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبو قرة ثم استقضى شريح بن الحارث الكندي فقضى خمسا وسبعين سنة الا أن زياداً أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مسروق ابن الاجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى ادرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض في الفتنة فاستقضى عبد الله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقي رجل شريحا في الطريق فقال يا أبا أمية قضيت والله علي بجور قال وكيف ذاك ويحك قال كبرت سنك واختلط عقلك فارتشى ابنك فقال شريح لا جرم لا يقولها أحد بعدك فأتى الحجاج فقال والله لا أقضي بين اثنين قال والله لا أعفيك أو تبغيني رجلا فقال شريح عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيد بن جبير كاتباً ووزيرا . وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء فقال له يا محارب الى كم تردد الخصوم فقال اني والخصوم كما قال الاعشى

أَرِقْتُ وَمَا هَذَا ٱلسُّهَادُ ٱلْمُؤَرِّقُ ... وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِيَ مَعْشَقُ

وَلَـكِنْ أَرَانِي لَا أَزَالُ بِحَادِثٍ ... أُغَادَى بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِي وَأُطْرَقُ

حدثني اسحاق بن ابرهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال كنت جالسا عند اياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسئلة فطول فيها فقال اياس ان كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمي ومعلم أبي وان كنت تريد القضاء · فعليك بعبد الملك بن يعلى وكان على قضاء البصرة يومئذ وان كنت تريد الصلح فعليك بحميد الطويل وتدرى ما يقول لك يقول لك حط شيئاً ويقول لصاحبك زد شيئاً حتى اصلح بينكما وان كنت تريد الشغب فعليك بصالح السدوسي وتدرى ما يقول لك يقول لك اجحد ما عليك ويقول لصاحبك ادع ما ليس لك

وادع بينة غيبا . قرأت في الآيين ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل و يقايس بتثبت وروية و يتحفظ من الشبهة . والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة . حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي الاصمعي قال قال أعرابي لقوم يتنازعون هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق فقيل وما يكون خيرا من الحق قال التحاط والهضم فان أخذ الحق كله مر . حدثني أبو حاتم عن الاصمعي قال اختلف رجلان في شيء فحكما رجلا له في المخطيء هوى فقال للمخطيء من يقول بقولك أكثر . الهيثم بن عدي قال تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها فقال هذيل الاشجعي

أَتَاهُ رَفِيقٌ بِالشُّهُودِ يَسُوقُهُمْ
عَلَى مَا ادَّعَتْ مِنْ صَالِحِ الْمَالِ وَالْخَوَلْ

فَأَدْلَى وَلِيدٌ عِنْدَ ذَاكَ بِحَقِّهِ ... وَكَانَ وَلِيدٌ ذَا مِرَاءٍ وَذَا جَدَلْ
فَفَتَّنَتِ الْقِبْطِيَّ حَتَّى قَضَى لَهَا ... بِغَيْرِ قَضَاءِ اللهِ فِي السُّوَرِ الطُّوَلْ
فَلَوْ كَانَ مَنْ فِي الْقَصْرِ يَعْلَمُ عِلْمَهُ ... لَمَا اسْتَعْمَلَ الْقِبْطِيَّ فِينَا عَلَى عَمَلْ
لَهُ حِينَ يَقْضِي لِلنِّسَاءِ تَخَاوُصٌ ... وَكَانَ وَمَا مِنْهُ التَّخَاوُصُ وَالْحَوَلْ
إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمَتْهُ لِحَاجَةٍ ... فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِي تَنَحْنَحَ أَوْ سَعَلْ
وَبَرَّقَ عَيْنَيْهِ وَلَاكَ لِسَانَهُ ... يَرَى كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا شَخْصَهَا جَلَلْ

فكان عبد الملك بن عمير يقول والله لربما جاءتني السعلة او التنحنح وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك . وقال ابن مناذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة

قُلْ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي مِنْ هَاشِمٍ فِي سِرِّهَا وَٱللُّبَابْ
إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عَاقَبْتَنَا بِخَالِدٍ فَهْوَ أَشَدُّ ٱلْعِقَابْ
كَانَ قُضَاةُ ٱلنَّاسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ وَهٰذَا عَذَابْ
يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِٱلصَّوَابْ

وقال فيه

جُعِلَ ٱلْحَاكِمُ يَا لَلنْـ نَاسِ مِنْ آلِ طَلِيقِ
ضُحْكَةً يَحْكُمُ فِي ٱلنَّا سِ بِرَأْيِ ٱلْجَاثَلِيقِ
أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّقْـ ضِ وَتَعْطِيلِ ٱلْحُقُوقِ
يَا أَبَا ٱلْهَيْثَمِ مَا أَنْـ تَ لِهٰذَا بِخَلِيقِ
لَا وَلَا أَنْتَ لِمَا حُمِّلْتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ

أراد عدي بن أرطاة بكر بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر والله ما أحسن القضاء فان كنت كاذبا أو صادقا فما يحل لك أن توليني * وروي عبد الرزاق عن معمر قال لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له والى اليمن اختر لنا رجلا نوليه القضاء فقال له ابن شبرمة ما أعرفه فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه فجاء فقال له ابن شبرمة هل تدري لم دعيت قال لا قال انك قد دعيت لامر عظيم للقضاء قال ما أيسر القضاء فقال له ابن شبرمة فنسئلك عن شيء يسير منه قال سل قال له ابن شبرمة ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فألقت ما في بطنها فسكت الرجل فقال له ابن شبرمة انا بلوناك فما وجدنا عندك شيئا فقيل له ما القضاء فيها قال ابن شبرمة تقوم حاملا وتقوم حائلاً ويغرم قدرما بينهما . حدثني عبد الله بن محمد الخلنجي قال كان يحيى بن أكثم يمتحن القضاة الذين يريدهم للقضاء فقال لرجل ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه

فولد لكل واحد من امرأته ولد ما قرابة ما بين الولدين فلم يعرفها فقال له يحيى كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه . ودخل رجل من أهل الشام على عبدالملك بن مروان فقال اني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنا بنا عن رفدك فقال له عبد الملك ان أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما اذا أولدتما فعلت قال ياأمير المؤمنين هذا حميد بن بحدل قد قلدته سيفك وولّيته ما وراء بابك فسله عنها فان أصاب لزمني الحرمان وان أخطأ اتسع لي العذر فدعا البحدلي فسأله فقال يا أمير المؤمنين انك ما قدمتني على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرماح أحدهما عم الآخر والآخر خاله . قال ابن سيرين كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندرى ما هو فقال له أبو عبيدة ضع لي اصبعك في هذه النار فقال له الرجل سبحان الله تأمرني أن أضع لك اصبعي في هذه النار فقال له أبو عبيدة أتبخل علي باصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسئلني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم قال فظننا أنه دعاه الى القضاء . كان يقال ثلاث اذا كن في القاضي فليس بكامل اذا كره اللوائم وأحب المحامد وكره العزل وثلاث اذا لم يكن فيه فليس بكامل يشاور وان كان عالما ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ويقضي اذا علم . قال ويحتاج القاضي الى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضي وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر . قال الشعبي حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكت فقلت يا أبا أمية ماأظنها الا مظلومة فقال يا شعبي ان اخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون . بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبي موسى الاشعري كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عبدالله ابن قيس سلام عليكم أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين الناس الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك

قضاء قضيته بالامس فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شيء واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة واعرف الاشباه والامثال ثم قس الامور بعد ذلك ثم اعمد لاحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى اجعل لمن ادعى حقاً غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه والا استحللت عليه القضاء والمسلمون عدول في الشهادة الا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة ان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله والسلام . وقال سلمة بن الخرشب لسبيع التغلبي في شأن الرهن التي وضعت على يديه في قتلى عبس وذبيان

أَبْلِغْ سُبَيْعًا وَأَنْتَ سَيِّدُنَا ... قِدْمًا وَأَوْفَى رِجَالِنَا ذِمَمَا

أَنَّ بَغِيضًا وَأَنَّ إِخْوَتَهَا ... ذُبْيَانَ قَدْ أَضْرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَا

نُبِّئْتُ أَنْ حَكَّمُوكَ بَيْنَهُمُ ... فَلَا تَقُولَنَّ بَيْنَ مَا حَكَمَا

إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمُ ... تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا

وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ ... حُكْمًا وَعِلْمًا وَتُحْضِرُ الْفَهَمَا

فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمُ ... لَنْ يَعْلَمُوا الْحَقَّ بَادِرًا صَتَمَا

وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمُ ... عَلَى رِضَا مَنْ رَضِي وَمَنْ رَغِمَا

إِنْ كَانَ مَالًا فَمِثْلُ عِدَّتِهِ ... مَالٌ بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمَا

هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ ... فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمَا

وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى فلما بلغ قوله

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ ... يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها و يقول لا يخرج الحق من احدى ثلاث اما يمين أو محا كمة أو حجة * وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبدالله ابن شبرمة

وَكَيْفَ تُرَجَّى لِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ ... وَلَمْ تُصِبْ ٱلْحُكْمَ فِي نَفْسِكَا

وَتَزْعَمُ أَنَّكَ لِٱبْنِ ٱلْجِلَاحِ ... وَهَيْهَاتَ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَا

عبد الله بن صالح العجلي قال خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيزران وقد أقبلت تريد الحج فأتى شاهي فأقام بها ثلاثا ولم توافِ فخف زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبله بالماء و يأكله بالملح فقال العلاء بن المنهال الغنوي

فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي قَدْ قُلْتَ حَقًّا ... بِأَنْ قَدْ أَكْرَهُوكَ عَلَى ٱلْقَضَاءِ

فَمَا لَكَ مُوضِعًا فِي كُلِّ يَوْمٍ ... تَلَقَّى مَنْ يَحُجُّ مِنَ ٱلنِّسَاءِ

مقيماً فِي قُرَى شَاهِي ثَلَاثًا ... بِلَا زَادٍ سِوَى كِسَرٍ وَمَاءِ

يَزِيدُ ٱلنَّاسُ خُبْزًا كُلَّ يَوْمٍ ... فَتَرْجِعُ يَا شَرِيكُ إِلَى وَرَاءِ

وهو القائل ايضا فيه

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكٍ كَانَ حَيًّا ... فَيُقْصِرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكُ

وَيَتْرُكَ مِنْ تَدَرُّئِهِ عَلَيْنَا ... إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ

وانشد لبعض الشعراء في بعض الحكام

أَبْكِي وَأَنْدُبُ بَهْجَةَ ٱلْإِسْلَامِ ... إِذْ صِرْتَ تَقْعُدُ مَقْعَدَ ٱلْحُكَّامِ

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ مَا عَلِمْتُ كَثِيرَةٌ ... وَأَرَاكَ بَعْضَ حَوَادِثِ ٱلْأَيَّامِ

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني جريران رجلا منهم خاصم رجلا الى سوار بن عبد الله فقضي علي الجريري فمرسوار ببني جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول

رَأَيْتُ أَحْلَامًا فَعَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارَا
رَأَيْتُنِي أَخْنُقُ ضَبًّا عَلَى حَجَرٍ وَكَانَ الضَّبُّ سَوَّارَا

﴿ في الشهادات ﴾

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الاصمعي قال لي ابو أيوب ان من أصحابي من أرجو دعوته ولا أجيز شهادته . قال وقال سوار ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السلمي ولو شهد عندي على فلسين لم أجز شهادته يذهب الى أنه ضعيف الرأي ليس بالحازم لا أنه يطعن عليه في دينه وأمانته . قال وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار وما يدريك أنه ابنه قال كما أعلم أنك سوار بن عبد الله بن عنزة بن نقب . قال وشهد رجل عند سوار في دار قد ادعاها رجل قال أشهد أنها له من الماء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب اكتب شهادتها فقال أي شيء أكتب قال كل شيء يخرج الدار من يدي هذا ويجعله في ملك هذا فاكتبه . قال أبو حاتم بلغني أنه انما قيل شهادة عربية لهذا وما اشبهه . قال وشهد رجل عند سوار فقال له ما صناعتك قال أنا مؤدب قال فانا لا نجيز شهادتك قال ولم قال لانك تأخذ على تعليم القرآن أجرا قال وانت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا قال اني أكرهت على القضاء قال هذا القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق قال هلم شهادتك فأجازها . قال وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال قد أجزنا شهادة أبي فراس وزيدونا فقيل حين انصرف انه والله ما أجاز شهادتك قال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت الف محصنة . وجاء ابو دلامة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك

انَّ ٱلْقَوْمَ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ دُونَهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَانْ حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِيهِ تِلْكَ ٱلنَّبَائِثُ

فاجاز ابن شبرمة شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء . أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم كم في القراح من نخلة قالوا لا نعلم فرد شهادتهم فقال له رجل منهم أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثون سنة فاعلمنا كم فيه من أسطوانة فاجازهم . وقال بعض الشعراء

وَٱلْخَصْمُ لَا يُرْتَجَى ٱلنَّجَاةُ لَهُ يَوْمًا إِذَا كَانَ خَصْمُهُ ٱلْقَاضِي

قدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه فقال ان هذا الرجل يدل بخاصة ذكر أنها له منك قال صدق وساخبرك بما ينفعه عندي من خاصته ان يكن الحق له عليك آخذك أخذا عنيفاً وان يكن الحق لك عليه أقض عليه ثم اقض عنه . وقال ابو اليقظان كان عبيد الله ابن ابي بكرة قاضيا وكان يميل في الحكم الى اخوانه فقيل له في ذلك فقال وما خير رجل لا يقطع من دينه لاخوانه . قال المدائني كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مماراة في واد بالمدينة قال فقالا نجعل بيننا عمرو بن العاص فاتياه فقال لهما انتما في فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان وقد سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبرا من ارض اخيه بغير حق انه يطوقه من سبع ارضين والحكم احوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحكم اذا جار رزيء دينه والمحكوم عليه اذا جير عليه رزيء عرض الدنيا ان شئتما فادليا بحجتكما وان شئتما فاصلحا ذات بينكما فاصطلحا واعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا . وكان السندي بن شاهك لا يستحلف المكاري ولا الحائك ولا الملاح ويجعل القول قول المدعي مع يمينه ويقول اللهم اني استخيرك في الجمال ومعلم الصبيان . وقال ابو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا نقبل شهادة العزيوط ولا المغذي ببوله قال ابو البيداء فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي . وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري أتجيز شهادة رجل عفيف تقي أحمق قال لا وسأريكم ادعوا الى ابا مودود حاجبي فلما جاء قال له اخرج حتى تنظر ما الريح فخرج ثم رجع فقال شمال يشوبها شيء من الجنوب فقال اتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا . قال الاعمش

قال لي محارب بن دثار وليت القضاء فبكى اهلي وعزلت عنه فبكوا فما ادري مم ذاك فقلت له وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكى اهلك وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكي اهلك فقال انه لكما قلت . دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا فقال له القاضي اتقدم شيخا كبيرا فقال له اياس الحق اكبر منه فقال اسكت قال فمن ينطق بحجتي قال ما اظنك تقول حقا حتى تقوم قال اشهد أن لا اله إلا الله فقام القاضي فدخل على عبد الملك فاخبره بالخبر فقال اقض حاجته واخرجه من الشام لا يفسد عليك الناس . قال أعرابي لخصم له والله لئن هملجت الى الباطل انك عن الحق لقطوف .

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس في الطرق فانها سبع أذرع . حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن ابرهيم بن خيثم عن غزال بن مالك الغفاري عن أبيه عن جده قال كفل النبي عليه الصلاة والسلام رجلا في تهمة . قال وحدثني ايضا عن ابرهيم بن خيثم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ . حدثني يزيد قال حدثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ر باب وقال لي رجل بالمدينة هو ذو ر باب . حدثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني زنيت يارسول الله فقال لعلك مسست او لمست او غمزت فقال لا بل زنيت فاعادها عليه ثلاثا فلما كان في الرابعة رجمه . حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقمر عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أتي بامرأة سرقت فقال أسرقت قولي لا . حدثني سهل بن محمد قال

حدثني الاصمعي قال جاوز زياداً بلص وعنده جماعة فيهم الاحنف فانتهروه وقالوا أصدق الامير فقال الاحنف ان الصدق أحياناً معجزة فأعجب ذلك زياداً وقال جزاك الله خيراً . حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن اسماعيل بن عياش عن من حدثه عن ابن عباس قال جز الرأس واللحية لا يصلح في العقوبة من أجل أن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكا لمرضاته . وحدثني شبابة عن القاسم عن الاوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال اياكم والمثلة في العقوبة جز الرأس واللحية . حدثني محمد بن خالد بن خداش قال حدثنا سالم بن قتيبة قال حدثنا يونس قال حدثنا أبو بكر بن حفص عن عمر قال كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل أفزع رجلا فضرط بأربعين درهما . حدثني محمد ابن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود قال لا يحل في هذه الامة غل ولا صفد ولا تجريد ولا مد . وحدثني عبد الرحمن عن الاصمعي قال كان عامر بن الظرب العدواني حكم العرب فنزل به قوم يستفتونه في خنثى وله جارية يقال لها خصيلة وربما لامها في الابطاء في الرعي وفي الشيء يجده عليها فقال ياخصيلة لقد حبست هؤلاء القوم ورثهم حتى أسرعت في غنمي قالت وما يكبر عليك من ذلك أتبعه مباله فقال لها مسي خصيلك بعدها او روحي . قال وأتي ابن زياد بانسان له قبل وذكر لا يدرى كيف يورث فقال من لهذا فقالوا أرسل الى جابر بن زيد فأرسل اليه فجاء يرسف في قيوده فقال ما تقول في هذا فقال ألزقه بالجدار فان بال عليه فهو ذكر وان بال في رجليه فهو أنثى . حدثني محمد بن خالد بن خداش قال حدثنا سالم بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا لرجل فخاصمه الى شريح فقال شريح لا أقضي في الطنبور بشيء . حدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن أبيه قال قال لي أبو العجاج يا ابن أصمع والله لئن أقررت لالزمنك أي لا تقر . حدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن أبيه عن معتمر قال رد رجل جارية اشتراها منه فخاصمه الى اياس بن معاوية فقال له بم تردها قال له بالحمق فقال لها اياس أي رجليك أطول فقالت هذه فقال أتذكرين ليلة ولدت قالت نعم فقال اياس رد رد . حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داؤد عن قيس عن أبي حصين قال رأيت الشعبي يقضي على جلد أسد .

الظلم

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب قال حدثني الاصمعي قال أخبرنا بعض أهل البصرة أن رجلا وامرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المتنقب قبيحة المسفر وكان لها لسان فكأن العامل مال معها فقال يعهد احدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء اليها فأهوى زوجها الى النقاب فألقاه عن وجهها فقال العامل عليك اللعنة كلام مظلوم ووجه ظالم . أنشدنا الرياشي في نحو هذا

رأيتُ أبَا الحَجْنَاءِ في النَاسِ حائراً ... ولَوْنُ أبي الحَجْنَاء لَوْنُ البهائِمِ

تراه على ما لاحَقَ من سوَادِهِ ... وإن كانَ مظلوماً لَه وَجْهُ ظالمِ

أبو حاتم عن الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال كان رجل من العرب في الجاهلية اذا رأى رجلا يظلم ويعتدي يقول فلان لا يموت سويا فيرون ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه سويا فقيل له مات فلان سويا فلم يقبل حتى تتابعت الاخبار فقال ان كنتم صادقين ان لكم دارًا سوى هذه تجازون فيها . كتب رجل من الكتاب الى سلطان أعيذك بالله من أن تكون لاهيا عن الشكر محجوبا بالنعم صارفا فضل ما أوتيت من السلطان الى ما تقل عائدته وتعظم تبعته من الظلم والعدوان وأن يستزلك الشيطان بخدعه وغروره وتسويله فيزيل عاجل الغبطة وينسيك مذموم العاقبة فأن الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب غده ولم يغرره طول الامل وتراخي الغاية ولم يضرب في غمرة من الباطل ما لا يدرى ما تجلى به مغبتها هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المنقلب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كر الجديدين واختلاف العصرين . حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو ابرهيم السقاء عن ليث عن مجاهد قال يؤتى بمعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان والا أقيم مع الظلمة . وكان معاوية يقول اني لاستحيي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا الا الله * وقال بلال اني لاستحيي أن أظلم وأخرج أن أظلم * وكان يقال اذا أراد

الله أن يتحف عبدا قيض الله له من يظلمه . كتب رجل الى سلطان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسطت بالقدرة يداه . ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب اني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب الديار قال ابن عباس أنا أوجدكه في القرآن قال الله عز وجل (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) . حدثني سهل بن محمد عن الاصمعي قال كان فرعان وهو من بني تميم لا يزال يغير على ابل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا فجاء الرجل فأخذ شعره فجذبه فبرك فقال الناس بركت والله يافرعان فقال لا والله ولكنه جذب جذبة محق . وكان سديف بن ميمون مولى اللهبيين يقول اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وامارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للامة واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والارملة وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة اللهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريده اللهم فأتح له يداً من الحق حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره . ولي أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسألهم عن المسيح فقالوا قتلناه وصلبناه فقال فهل أديتم ديته قالوا لا قال فوالله لا تخرجون أو تؤدوها فلم يبرحوا حتى أدوها . كان أبو العاج على حوالي البصرة فأتي برجل من النصارى فقال ما اسمك فقال بنداذ شهربنداذ فقال اسم ثلاثة وجزية واحد لا والله العظيم قال فأخذ منه ثلاث جزى . ولي أعرابي تبالة فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال ان الأمير أعزنا الله واياه ولاني بلادكم هذه واني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي ولن أوتى بظالم ولا مظلوم الا أوجعتهما ضربا فكانوا يتعاطون الحق ولا يرتفعون اليه . قال بعض الشعراء

بَنِي عَمِّنَا لاَ تَذْكُرُوا ٱلشِّعْرَ بَعْدَ مَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ ٱلْغَمِيمِ ٱلْقَوَافِيَا
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً فَنَقْبَلَ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمَ قَاضِيَا
وَلٰكِنَّ حُكْمَ ٱلسَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَنَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ ٱلسَّيْفُ رَاضِيَا

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ   ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

وقال آخر

تَفْرَحُ أَنْ تَغْلِبَنِي ظَالِمًا   وَالْغَالِبُ الْمَظْلُومُ لَوْ تَعْلَمُ

وكانوا يتوقون ظلم السلطان اذا دخلوا عليه بأن يقولوا بسم الله اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اخسؤا فيها ولا تكلمون أخذت سمعك و بصرك بسمع الله و بصره أخذت قوتك بقوة الله بيني و بينك ستر النبوة الذي كانت الانبياء تستتر به من سطوات الفراعنة جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مظل عليك و يحجزك عني و يمنعني منك . وقال بعض الشعراء

وَنَسْتَعْدِي الْأَمِيرَ إِذَا ظُلِمْنَا   فَمَنْ يُعْدِي إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ

وقال آخر

إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ خَصْمًا   فَلَا تُكْثِرْ فَقَدْ غَلَبَ الْأَمِيرُ

وكتب رجل الى صديق له قد كنت أستعديك ظالما على غيرك فتحكم لي وقد استعديتك عليك مظلوما فضاق عني عدلك . وذكرني قول القائل

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ   فَهُمُ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ

ونحوه

وَالْخَصْمُ لَا يُرْتَجَى النَّجَاحُ لَهُ   يَوْمًا إِذَا كَانَ خَصْمُهُ الْقَاضِي

حدثني سهل بن محمد عن الاصمعي قال كان يقال ما أعطي أحد قط النصفة فاباه الا أخذ شرا منه . قال وقال الأحنف ما عرضت النصفة قط على أحد فقبلها الا دخلتني له هيبة ولا ردها الا اختبأتها في عقله . وقال البعيث

وَإِنِّي لَأُعْطِي النِّصْفَ مَنْ لَوْ ظَلَمْتُهُ   أَقَرَّ وَطَابَتْ نَفْسُهُ لِي بِالظُّلْمِ

وقال الطائي

يَرَى ٱلْعَلْقَمَ ٱلْمَأْدُومَ بِٱلْعِزِّ أَرْيَةً ... يَمَانِيَةً وَٱلْأَرْيَ بِٱلضَّيْمِ عَلْقَمَا

وقال العباس بن عبد المطلب

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ ... قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا

تَرَكْنَاهُمُ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَهَا ... لِذِي رَحِمٍ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ مَحْرَمَا

بلغنا عن ضمرة عن ثور بن يزيد قال كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله أما بعد فاذا دعتك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك ونفاذ ما توءتى اليهم و بقاء ما يوءتون اليك والسلام . سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه فقال أقصر يا هذا لا يربح عليك ظالمك .

قولهم في الحبس

في الحديث المرفوع شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس فأوحى الله اليه من حبسك يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ولو قلت العافية أحب الي لعوفيت . حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال ان يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تعرف لهم الى اليوم قال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فيقال انهم اعلم الناس بكل خبر في كل بلد * وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وتجربة الصديق وشماتة الاعداء . أنشدني الرياشي

مَا يَدْخُلُ ٱلسِّجْنَ انْسَانٌ فَتَسْأَلُهُ ... مَا بَالُ سِجْنِكَ الَّا قَالَ مَظْلُومُ

وقال أعرابي

وَلَمَّا دَخَلْتُ ٱلسِّجْنَ كَبَّرَ أَهْلُهُ ... وَقَالُوا أَبُو لَيْلَى ٱلْغَدَاةَ حَزِينُ

وَفِي ٱلبَابِ مَكْتُوبٌ عَلَى صَفَحَاتِهِ بِأَنَّكَ تَنزو ثُمَّ سَوْفَ تَلِينُ

و يقال إن قولهم تنزو وتلين رئي مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثلا. لبعض المسجنين

وَبِتُّ بِأَحْصَنِهَا مَنْزِلاً ثَقِيلاً عَلَى عُنُقِ ٱلسَّالِكِ

وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلاَ فِي كِرَى وَلاَ مُسْتَعِيرٍ ولاَ مَالِكِ

وَلَسْتُ بِغَضْبٍ وَلاَ كَٱلرَّهُونِ وَلاَ يُشْبِهُ ٱلوَقْفَ عَنْ هَالِكِ

وَلِي . مُسْمِعَانِ فَأَدْنَاهُمَا يُغَنِّي وَيُسْمِعُ فِي ٱلحَالِكِ

وَأَقْصَاهُمَا نَاظِرٌ فِي ٱلسَّمَا عَمْدًا وَأَوْسَخُ مِنْ عَارِكِ

المسمع الاول قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر

وَلِي مُسْمِعَانِ وَزَمَّارَةٌ وَظِلٌّ مَدِيدٌ وَحِصْنٌ أَمَقُّ

الزمارة ـ الغل ـ واصل الزمارة الساجور. قال ابو عبيدة اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بلال بن ابي بردة فقضى للرجل علي خالد فقام خالد وهو يقول

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

فقال بلال أما انها لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد وأمر به الى الحبس فقال خالد علام تحبسني فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة فقال بلال يخبرك عن ذلك باب مصمت وأقياد ثقال وقيم يقال له حفص . وقال الحجاج للغضبان بن القبعثرى وراه سمينا ماأسمنك قال القيد والرتعة ومن كان في ضيافة الأمير سمن . كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يعرف فقال

وَلَمَّا أَحَلُّونِي بِصَلْعَاءَ صَيْلَمٍ بِإِحْدَى زُبَى ذِي ٱللِّبْدَتَيْنِ أَبِي شِبْلِ

خَرَجْتُ خُرُوجَ ٱلقِدْحِ قِدْحِ ٱبْنِ مُقْبِلٍ عَلَى رَغْمِ آنَافِ ٱلنَّوَائِحِ وَٱلْمُثْلِي

عَلَيَّ ثِيَابُ ٱلْغَانِيَاتِ وَتحتَهَا عَزِيمَةُ مرءٍ أشبَهَتْ سَلَّةَ ٱلنَصْلِ

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وَإِنِّي لَأَرْجو خالدًا أنْ يَفُكَّنِي وَيُطْلِقَ عَني مُقْفَلَاتِ ٱلحدَائِدِ

فَإِنْ يَكُ قَيْدِي رَدَّ هَمِّي فَرُبَّمَا تَنَاوَلْتُ أَطْرَافَ ٱلهُمُومِ الأَبَاعِدِ

وَمَا مِنْ بَلَاءٍ غَيْرَ كُلِّ عَشِيَّةٍ وَكُلِّ صَبَاحٍ زَائِرٌ غَيْرُ عَائِدِ

يَقُولُ لِيَ ٱلحَدَّادُ هَلْ أَنْتَ قَائِمٌ وَمَا أَنَا إِلَّا مِثْلُ آخَرَ قَاعِدِ

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسري حين حبس

لعمرِي لَقَدْ أَعْمَرْتُمُ ٱلسِّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ ٱلْمُتَثَاقِلِ

فَإِنْ تَحبِسُوا ٱلقَسْرِيَّ لاتَحْبِسُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي ٱلْقَبَائِلِ

وقال بعض المسجنين

أَسِجْنٌ وَقَيْدٌ وَٱغْتِرَابٌ وَعُسْرَةٌ وَفَقْدُ حَبِيبٍ انَّ ذَا لَعَظِيمُ

وَإِنَّ ٱمْرَأً تَبْقَى مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ هَذَا انَّهُ لَكَرِيمُ

وقال آخر مثله

إِلَى ٱللهِ اَشْكُو إِنَّهُ مَوْضِعُ ٱلشَّكْوَى وَفِي يَدِهِ كَشْفُ ٱلْمُصِيبَةِ وَٱلْبَلْوَى

خَرَجْنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ اَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ ٱلأَحْيَاءِ فِيهَا ولاَ ٱلْمَوْتَى

إِذَا جَاءَنَا ٱلسَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجِبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ ٱلدُّنْيَا

وَتُعْجِبُنَا ٱلرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا ٱلْحَدِيثُ عَنِ ٱلرُّؤْيَا

فَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجْلَى وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس يا لهفي على طلبة بمائة الف وفرح في جبهة أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

اصبح في قيدك السماحة والـ ... جود وحمل لمضلع الأثقال

فقال له أتمدحني على هذه الحال فقال أصبتك رخيصاً فأسلفتك . وحبس الرشيد ابا العتاهية فكتب اليه من الحبس بأبيات منها

تفديك نفسي من كل ما كرهت . ... نفسك إن كنت مذنباً فاغفر

ياليت قلبي مصور لك ما فيـ ... ـه لتستيقن الذي أنا أضمر

قال فوقع الرشيد في رقعته لا بأس عليك فأعاد عليه رقعة اخرى فيها

كأن الخلق ركب فيه روح ... له جسد وأنت عليه راس

أمين الله إن الحبس بأس ... وقد أرسلت ليس عليك باس

فأمر باطلاقه .

﴿ الحجاب ﴾

ابو حاتم عن العتبي عن ابيه ان عبد العزيز بن زرارة الكلابي وقف على باب معاوية فقال من يستأذن لي اليوم فأدخله غدا وهو في شملتين فلما دخل على معاوية قال هززت ذوائب الرحال اليك اذ لم اجد معولا الا عليك امتطي الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودني نحوك رجاء وتسوقني اليك بلوى والنفس مستبطئة والاجتهاد عاذر: فأكرمه وقربه فقال في ذلك

دخلت على معاوية بن حرب ... وذلك إذ يئست من الدخول

وما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل

وأغضيت العيون على قذاها ... ولم أسمع إلى قال وقيل

فأدركت الذي أملت منه ... بمكث والخطى زاد العجول

وقال غير العتبي لما دخل عبد العزيز بن زرارة على معاوية قال له اني رحلت اليك الامل واحتملت جفوتك بالصبر ورأيت ببابك اقواماً قدمهم الحظ وآخرين باعدهم الحرمان وليس ينبغي للمقدم ان يأمن ولا للموءخر ان ييأس واول المعرفة الاختبار فابل واختبر . وفي حجاب معاوية اياه يقول شاعر مضر

مَنْ يَاذَنِ ٱلْيَوْمَ لِعَبْدِ ٱلْعَزِيزِ   يَأْذَنْ لَهُ عَبْدُ عَزِيزٍ غَدَا

قال ابو اليقظان كان عبد العزيز بن زرارة فى العرب . استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه فقيل له حجبك أمير الموءمنين فقال لا عدمت من أهلي من اذا شاء حجبني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء من يغش سدد السلطان يقم ويقعد ومن صادف باباً عنه مغلقاً وجد الى جانبه باباً فتحاً ان دعا أجيب واذا سأل أعطي . قال رجل لحاجبه انك عين أنظر بها وجنة أستنيم اليها وقد وليتك بابي فما تراك صانعا برعيتي قال انظر اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم في ابطائهم عن بابك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك وأحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنك قال قد وفيت بما لك وما عليك ان صدقته بفعل . وكان يقال حاجب الرجل حارس عرضه . وقرأت في التاج قال ابرويز لحاجبه لا تقدمن مستغيثا ولا تضعن شرفا بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضعة بسهولته وضع الرجال على مواضع أخطارهم فمن كان مقدما له الشرف ثم ازدرعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الاول وحسن رأيه الآخر ومن كان له شرف مقدم فلم يصن ذلك ابلاء غاية ولم يزدرعه تثميرا اه فألحق بآبائه مهلة سبقهم في خواصهم وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه لا تأذن له الا دبرا ولا تأذن له الا سرارا واذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عني طرفة عين الا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الي فيها وان أتاك مدع لنصيحة فليكتبها سرا ثم أدخله بعد ان تستأذن له حتى اذا كان مني بحيث اراه فادفع الي كتابه فان احمدت قبلت وان كرهت رفضت ولا ترفعن الي طلبة طالب ان منعته بخلني وان اعطيته ازدراني الا بموءامرة مني من غير ان تعلمه انك قد اعلمتني وان اتاك عالم يستأذن علي بعلم يزعم انه عنده فاسأله ما علمه ذلك ثم استأذن له فان العلم كاسمه ولا تحجبن سخطة

ولا تأذن رضا اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك . الهيثم قال قال خالد بن عبد الله لحاجبه لا تحجبن عني احدا اذا اخذت مجلسي فان الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث عيّ يكره ان يطلع عليه منه او ريبة او بخل فيكره ان يدخل عليه من يسأله . أخذ ذلك محمود الوراق فقال

إِذَا اعْتَصَمَ الْوَالِي بِإِغْلَاقِ بَابِهِ ... وَرَدَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ

ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرُبَّمَا ... نَزَعْتُ بِظَنٍّ وَاقِعٍ بِصَوَابِهِ

فَقُلْتُ بِهِ مَسٌّ مِنَ الْعِيِّ ظَاهِرٌ ... فَفِي إِذْنِهِ لِلنَّاسِ إِظْهَارُ مَا بِهِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِيُّ اللِّسَانِ فَغَالِبٌ ... مِنَ الْبُخْلِ يَحْمِي مَالَهُ عَنْ طِلَابِهِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَا فَرِيبَةٌ ... يُصِرُّ عَلَيْهَا عِنْدَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

وقال بعض الشعراء

اِعْلَمَنْ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ ... أَنَّ عِرْضَ الْمَرْءِ حَاجِبُهُ

فِيهِ تَبْدُو مَحَاسِنُهُ ... وَبِهِ تَبْدُو مَعَائِبُهُ

وقال آخر

كَمْ مِنْ فَتًى تُحْمَدُ أَخْلَاقُهُ ... وَتَسْكُنُ الْأَحْرَارُ فِي ذِمَّتِهِ

قَدْ كَثَّرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ ... وَسَلَّطَ الذَّمَّ عَلَى نِعْمَتِهِ

حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة منهم سهل بن عمرو وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس فخرج الآذن فقال أين صهيب أين عمار أين سلمان فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل لواحد منهم لم تتمعر وجوهكم دُعوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم من الجنة أكثر . وقال بعض الشعراء

سَأَتْرُكُ هَذَا الْبَابَ مَادَامَ إِذْنُهُ ... عَلَى مَا أَرَى حَتَّى يَلِينَ قَلِيلَا

إِذَا لَمْ نَجِدْ لِلْإِذْنِ عِنْدَكَ مَوْضِعًا ... وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ الْمَجِيءِ سَبِيلَا

وقال آخر لحاجب

سأترُكُ بَابًا أنتَ تَملكُ إذنَهُ ... وإن كُنتُ أعمَى عَن جميعِ المَسالكِ
فلو كُنتَ بوّابَ الجنانِ تركتُها ... وحوّلتُ رِجلِي مُسرِعًا نحوَ مالكِ

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عُدتُ بعدَ اليومِ إنّي لظالمٌ ... سأصرفُ وَجهِي حيثُ تُبغَى المكارمُ
متَى يَنجحُ الغادي إليكَ بحاجةٍ ... ونصفُكَ محجُوبٌ ونصفُكَ نائمٌ

وقال آخر

ولستُ بمتّخذٍ صاحِبًا ... يُقيمُ عَلَى بَابهِ حاجِبَا
اذا جئتُ قالَ لهُ حاجةٌ ... وان عُدتُ ألفيتُهُ غائِبَا
ويلزمُ إخوانَهُ حقّهُ ... وليسَ يرَى حقّهم واجبَا
فلستُ بلاقيهِ حتّى المما ... تِ إذا أنا لَم ألقَهُ راكبَا

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائما

ألاَ رُبَّ نُصحٍ يُغلَقُ البابُ دونَهُ ... وغشٍّ إلى جنبِ السّريرِ يُقرَّبُ

وقال آخر

مَا ضَاقَتِ الأرضُ عَلَى رَاغبٍ ... يطلُبُ الرّزقَ ولاَ هَاربِ
بلْ ضَاقَتِ الأرضُ عَلَى صَابرٍ ... أصبَحَ يَشكُو جفوَةَ الحَاجِبِ

وحجب رجل على باب سلطان فكتب اليه . نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية والهمم القصيرة وابتذال الحرية فان نفسي والحمد لله أبية ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طبعت على طبع وقد رأيتك وليت عرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه وجعلت ترجمان عقلك يكثر من أعدائك وينقص من أوليائك ويسيء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك ويضغن قلوب اخوانك عليك اذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحط العلي الى مرتبة الوضيع ويرفع الدني الى

مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذي البذاذة ويميل الى ذي اللباس والزينة ويقدم على الهوى ويقبل الرشى . وقال بشار أو غيره

تَأْبَى خَلَائِقُ خَالِدٍ وَفِعَالُهُ ... إِلاَّ تَجَنُّبَ كُلِّ أَمْرٍ عَائِبِ

فَإِذَا أَتَيْتَ الْبَابَ وَقْتَ غَدَائِهِ ... أَذِنَ الْغَدَاءُ بِرَغْمِ أَنْفِ الْحَاجِبِ

وهذا ضد قول الآخر

إِذَا تَغَدَّى فَرَّ بَوَّابُهُ ... وَارْتَدَّ مِنْ غَيْرِ يَدٍ بَابُهُ

وَمَاتَ مِنْ شَهْوَةِ مَا يَحْتَسِي ... عِيَالُهُ طُرًّا وَأَصْحَابُهُ

وقال آخر

يَا أَمِيرًا عَلَى جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْ ... ضِ لَهُ تِسْعَةٌ مِنَ الْحُجَّابِ

قَاعِدًا فِي الْخَرَابِ يُحْجَبُ عَنْهُ ... مَا سَمِعْنَا بِحَاجِبٍ فِي خَرَابِ

وقال آخر

عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الْإِذْنَ بَعْدَ مَا ... حُجِبْتُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ

وقال الطائي

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَتِهِ ... وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَثَبُ

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً ... إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقال أيضاً

وَمُحَجَّبٍ حَاوَلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ ... نَجْمًا عَنِ الرَّكْبِ الْعُفَاةِ شَسُوعًا

لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ أَعْدَمْتُهُ ... شُكْرِي فَرُحْنَا مُعْدِمَيْنِ جَمِيعًا

وقال آخر

قَدْ أَطَلْنَا بِالْبَابِ امْسِ الْقُعُودَا ... وَجُفِينَا بِهِ جَفَاءً شَدِيدَا

وَذَمَمْنَا الْعَبِيدَ حَتَّى إِذَا نَحْ ... نُ بَلَوْنَا الْمَوْلَى عَذَرْنَا الْعَبِيدَا

وحجب رجل فكتب

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الوِلاَيَةَ إِن تَكُنْ ... مُنَبِّلَةً قَوْمًا فَأَنْتَ لَهَا نُبْلُ
فَلا تَرْتَفِعْ عَنَّا لِشَيْءٍ وُلِيتَهُ ... كَمَا لَمْ يُصَغِّرْ عِنْدَنَا شَأْنَكَ العَزْلُ

وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى الى صديق له . ان كان ذهولك عنا الدنيا أخضلت عليك سماؤها وأرتبت بك ديمها فان أكثر ما يجري في الظن بك بل في اليقين منك أنك أملك ما تكون لعنانك أن تجمح بك ولنفسك ان تستعلي عليك اذا لانت لك اكنافها وانقاد في كفك زمامها لانك لم تنل ما نلت خلسا ولا خطفا ولا عن مقدار جرف اليك غير حقك وأمال نحوك سوى نصيبك فان ذهبت الى أن حقك قد يحتمل في قوته وسعته ان تضم اليه الجفوة والنبوة فيتضاءل في جنبه و يصغر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك وأيم الله لولا ما بليت به النفس من الظن بك وأن مكانك منها لا يسده غيرك نسخت عنك وذهلت عن اقبالك وادبارك ولكان في جفائك ما يرد من غرتها و يبرد من غلتها ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك . أبو حاتم عن العتبي قال قال معاوية لحصين بن المنذر وكان يدخل عليه في أخريات الناس يا أبا ساسان كانه لا يحسن اذنك فأنشأ يقول

وَكُلُّ خَفِيفِ الشَّأْنِ يَسْعَى مُشَمِّرًا ... إِذَا فَتَحَ البَوَّابُ بَابَكَ إِصْبَعَا
وَنَحْنُ الجُلُوسُ المَاكِثُونَ رَزَانَةً ... وَحِلْمًا إِلَى أَنْ يُفْتَحَ البَابُ أَجْمَعَا

وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان

بَعِيدُ مَرَدِّ العَيْنِ مَا رَدَّ طَرْفَهُ ... حِذَارَ الغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلاَ سِتْرُ
وَلَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ ... طَمَاطِمُ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرُ
وَلَكِنَّ بِشْرًا يَسَّرَ البَابَ لِلَّتِي ... يَكُونُ لَهُ فِي غِبِّهَا الحَمْدُ وَالأَجْرُ

وقال بشر

فَلاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إِنَّهُ ... مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ

إِذا جِئْتَهُ فِي الْعُرْفِ أَغْلَقَ بَابَهُ　　فَلَمْ تَلْقَهُ إِلاَّ وَأَنْتَ كَمِينُ

فَقُلْ لِأَبِي يَحْيَى مَتَى تُدْرِكِ الْعُلَى　　وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ

وقال ابن هرمة يمدح

هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ　　سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ　　لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ

وكتب رجل الى بعض الملوك

إِذَا كَانَ الْجَوَادُ لَهُ حِجَابٌ　　فَمَا فَضْلُ الْجَوَادِ عَلَى الْبَخِيلِ

فكتب اليه الآخر

اذَا كَانَ الْجَوَادُ قَلِيلَ مَالٍ　　وَلَمْ يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بِالْحِجَابِ

وقال عبيد الله بن عكراش

وَإِنِّي لَأَرْثِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا　　عَلَى طَمَعٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهُ

وَأَرْثِي لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْدَ بَابِهِ　　كَمَرْثِيَتِي لِلطِّرْفِ وَالْعِلْجُ رَاكِبُهُ

وكتب عبد الله بن محمد بن أبي عيينة الى صديق له

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ　　فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ

وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قِدْرِ قَوْمٍ　　وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ

ابو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون لذوي الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طرد فقام ناحية وأنشأ يقول

رَأَيْتُ آذِنَنَا يَعْتَامُ بِزَّتَنَا　　وَلَيْسَ لِلْحَسَبِ الزَّاكِي بِمُعْتَامِ

وَلَوْ دُعِينَا عَلَى الْأَحْسَابِ قَدَّمَنِي　　مَجْدٌ تَلِيدٌ وَجَدٌّ رَاجِحٌ نَامِ

مَتَى رَأَيْتَ الصُّقُورَ الْجُدْلَ يَقْدُمُهَا　　خِلْطَانِ مِنْ رَخَمٍ قُرْعٍ وَمِنْ هَامِ

دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية من انت فقال له يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه مثلك ينكر مثلي من رعيته فقال له معاوية ان معرفتك متفرقة أعرف وجهك اذا حضرت في الوجوه وأعرف اسمك في الاسماء اذا ذكرت ولا اعلم ان ذلك الاسم هو هذا الوجه فاذكر لي اسمك تجتمع معرفتك . استأذن رجلان على معاوية فاذن لاحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ثم اذن للآخر فدخل عليه فجلس فوق صاحبه فقال معاوية ان الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم وانا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك فقم لاأقام الله لك وزنا . دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان فلم يقبل عليه فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس هذا ابو مجلز فرده واعتذر اليه وقال اني لم أعرفك قال يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتني . قال اشجع السلمي يذكر باب المنصور بن زياد

عَلَى بَابِ ٱبْنِ مَنْصُورٍ عَلامَاتٌ مِنَ ٱلْبَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ ٱلْبَا بِ فضلاً كَثْرَةُ ٱلأَهْلِ

وكانت العرب تتعوذ بالله من فراغ الفناء ومن فراغ المراح . وقال آخر

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً وَكَأَنَّ بَابَكَ مَجْمَعُ ٱلأَسْوَاقِ
أَرَجَوْكَ أَمْ خَافُوكَ أَمْ شَامُوا ٱلْحِبَى بِحِرَاكَ فَانْتَجَعُوا مِنَ ٱلآفَاقِ

وقال آخر

يَزْدَحِمُ ٱلنَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَٱلْمَشْرَعُ ٱلْعَذْبُ كَثِيرُ ٱلزِّحَامِ

وقال آخر

إِنَّ ٱلنَّدَى حَيْثُ يُرَى ٱلضِّغَاطُ

وقال بشار

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلاَ ٱلْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمُ ٱلْعَطَاءِ
يَسْقُطُ ٱلطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ ٱلْحَـ بُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ ٱلْكُرَمَاءِ

دق رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر من هذا قال أنا قال عمر ما نعرف أحدا من اخواننا يسمى أنا . خرج شبيب بن شبة من دار الخلافة يوما فقال له قائل كيف رأيت الناس فقال رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا . قال ابو العتاهية

إِذَا ٱشْتَدَّ دُونِي حِجَابُ ٱمْرِئٍ ... كَفَيْتُ ٱلْمَؤُونَةَ حُجَّابَهُ

حجب أعرابي على باب السلطان فقال

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ ... وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ ٱلَّذِي لَا يُهِينُهَا

وقال جرير

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ ٱلْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى ٱلْأَبْوَابِ

وقال آخر

فَلَمَّا وَرَدْتُ ٱلْبَابَ أَيْقَنْتُ أَنَّنَا ... عَلَى ٱللهِ وَٱلسُّلْطَانِ غَيْرُ كِرَامِ

وقال ابو القمقام الأسدي

أَبْلِغْ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً ... وَفِي ٱلْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ ... مِنْ قَبْلُ أَنْ يَلِجُوا ٱلْأَبْوَابَ قُدَّامِي

لَوْ عُدَّ بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمُهُمْ ... بَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ ٱلذَّامِ

فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ ... بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

التلطف في مخاطبة السلطان

والقاء النصيحة اليه

العتبي قال قال عمر بن عتبة للوليد حين تنكر له الناس يا أمير المؤمنين انك تنطقني بالأنس بك وأنا أمسك ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك

أفأسكت مطيعا أم أقول مشفقا فقال كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول فقتل بعد ايام . وفي القاء النصيحة اليه . قرأت في كتاب للهند أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال له أيها الملك نصيحتك واجبة في الحقير الصغير فكيف الجليل الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك مايسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب صلاح العاقبة وتلافي الحادث قبل تفاقمه لكان خرقا مني أن أقول وان كنا اذا رجعنا الى أن بقاءنا ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بدا من أداء الحق اليك وان انت لم تسألني أو خفت أن لا تقبل مني فانه يقال من كتم السلطان نصحه والأطباء مرضه والاخوان بثه فقد خان نفسه .

﴿ الحقوق في الطاعة ﴾

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد اني قد أعددتك لأمر قال ياأمير المؤمنين ان الله قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فاذا شئت فقل . وفي مثله . قال اسحاق بن ابرهيم قال لي جعفر بن يحيي اغد علي غداً لكذا فقلت أنا والصبح كفرسي رهان . وفي مثله . أمر بعض الامراء رجلا بأمر فقال له أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النعل وقال آخر أنا أطوع لك من الرداء وأذل لك من الحذاء .

﴿ التلطف في مدحه ﴾

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز من كانت الخلافة زانته فانك زنتها ومن شرفته فانك شرفتها فأنت كما قال القائل

وَإِذَا ٱلدُّرُّ زانَ حُسْنَ وُجُوهٍ ... كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

فقال عمر أعطي صاحبكم مقولاً ولم يعط معقولا . وكتب بعض الادباء الى بعض

الوزراء ان أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع باذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك واورد واصدر عن رأيك وكان تفويضه اليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد ان حيل بينك و بين الذين سموا لرتبتك وجروا الى غايتك فأسقطهم مضمارك وخفوا في ميزانك ولم يزدك رفعة الا ازددت لله تواضعا ولا بسطا واينا سا الا ازددت له هيبة واجلالا ولا تسليطا وتمكينا الا ازددت عن الدنيا عزوفا ولا تقريبا الا ازددت من العامة قربا ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته ولا ايثار حقه عن الاخذ لها بحقها عنده ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ولا تشغلك جلائل الامور عن التفقد لصغارها ولا الجذل لصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وانعام النظر في عواقبها . وفي مدحه . دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال له الرشيد يا عماني اياك أن تنشدني الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقمان فبكر عليه الغد وقد تزيا بزي الاعراب ثم أنشده وقبل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله انشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ثم السفاح ثم المنصور ثم المهدي كل هؤلاء رأيت وجوههم وقبلت أيديهم وأخذت جوائزهم الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الامراء والسادة الروءساء والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمني جميع من حضر أنه قام ذلك المقام . وفي المدح . كتب الفضل ابن سهل الى أخيه الحسن بن سهل فقال ان الله قد جعل جدك عاليا وجعلك في كل خير مقدما والى غاية كل فضل سابقا وصيرك وان نأت بك الدار من أمير المؤمنين وكرامته قريبا وقد جدد لك من البر كيت وكيت وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف اكثره وأشرفه ان شاء الله . وفي مدحه . قال الرشيد يوما لبعض الشعراء هل أحدثت فينا شيئا فقال يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعر فيك دون قدري ولكني أستحسن قول العتابي

مَا ذَا يُرَى قَائِلٌ يُثْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ ... نَادَاكَ فِي الْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرُ

فُتَّ الْمَدَائِحَ إِلاَّ أَنَّ أَلسُنَنَا ... مُسْتَنْطَقَاتٌ بِمَا تُخْفِي الضَّمَائِرُ
فِي عِبْرَةٍ لَمْ تَقُمْ إِلاَّ بِطَاعَتِهِمْ ... مِنَ الْكِتَابِ وَلَمْ تَقْضِ الْمَشَاعِرُ
هَذَا يَمِينُكَ فِي جَدْوَاكَ مَائِلَةٌ ... وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ الْهِنْدِ مَأْثُورُ

وفي مدحه . كتب بعض الكتاب الى بعض الامراء ان من النعمة على المثني عليك أنه لا يخاف الافراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهي به المدح الى غاية الا وجد في فضلك عونا على تجاوزها ومن سعادة جدك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول . وفي مثله . كتب بعض الادباء الى الوزير مما يعين على شكرك كثرة المنصتين له ومما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الاثم فيه وتكذيب السامعين له . وفي مثل ذلك لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرو بن سعيد قم يا ابا أمية فقام فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان يزيد بن معاوية امل تأملونه واجل تأمنونه ان استضفتم الى حلمه وسعكم وان احتجتم الى رأيه ارشدكم وان افتقرتم الى ذات يده أغناكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد وقورع فخرج فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه فقال معاوية أوسعت يا أبا أمية فاجلس . وفي مثل ذلك . قال رجل للحسن بن سهل أيها الامير أسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السؤدد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل وان أردت ذكر واحدة اعترضت أختها اذ لم تكن الاولى أحق بالذكر منها فلست أصفها الا باظهار العجز عن صفتها . وفي مثل ذلك . كتب آخر الى محمد بن عبد الملك ان مما يطمعني في بقاء النعمة عليك ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شأن الأجناس ان تتواصل وشأن الاشكال ان تتقاوم والشيء يتغلغل في معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولز في مغرسه ضرب بعرقه وسمق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وثبت ثبات الطبيعة . وفي مثله . كتب آخر الى بعض الوزراء اني فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر وأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب

الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكات الاخبار عنك الى علم الناس بك . وفي مثله . كتب العتابي الى خالدبن يزيد أنت أيها الامير وارث سلفك و بقية أعلام اهل بيتك المسدود بك ثلمهم والمجدد بك قديم شرفهم والمنبه بك أيام صيتهم والمنبسط بك آمالنا والصائر بك أكالنا والمأخوذ بك حظوظنا فانه لم يخمل من كنت وارثه ولا درست آثار من كنت سالك سبله ولا امحت معاهد من خلفته في مرتبته . وفي شكره . قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك الحمد لله الذي أعلقني سبباً من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبتي إياه وعزز ركني من الذلة به وأظهر بسطي في العامة وزين مقامتي في المشاهدة وفقأ عني عيون الحسدة وذلل لي رقاب الجبابرة واعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عقبا يوطأ وخطرا يعظم ومزية تحسن والذي حقق في رجاء من كان يأملني فظاهر به قوة من كان ينصرني و بسط به رغبة من كان يسترفدني والذى أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني وجعلني من أكنافه في كنف اتسع علي . وفي تعداد نعمه وشكره . قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوثق له أمره جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الالفة والطاعة وحذرهم المعصية وصنف الناس أربعة أصناف فخر القوم سجدا وتكلم متكلمهم مجيبا فقال . لا زلت ايها الملك محبوا من الله بعزة النصر ودرك الامل ودوام العاقبة وحسن المزيد ولا زلت تتابع لديك النعم وتسبغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والحظوة لديه ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والانهار حتى تستوي أقطار الارض كلها في علوك عليها ونفاذ امرك فيها فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل الينا من عظم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم فجمعت الايدي بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألفت بين القلوب بعد تباغضها واذهبت الاحن والحسائك بعد استعار نيرانها وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحد بتعداد ثم لم ترض بما عممتنا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الايادي حتى احببت توطيدها

والاستيثاق منها وعملت لنا في دوامها كعملك في اقامتها وكافت من ذلك ما نرجو نفعه في الخلوف والاعقاب و بلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للاولاد فجزاك الله الذي رضاه تحريت وفي موافقته سعيت افضل ما التمست ونويت. وفي مثله . قال خالد بن صفوان لوال قدم عليه دخلت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجالسك وصلاتك وعدلك حتى كانك من كل أحد أو كأنك لست من أحد . وفي شكره. كتب بعض الكتاب الى الوزير يشكر له من شكر لك عن درجة رفعته اليها أو ثروة أفدته اياها فان شكري اياك على مهجة أحييتها وحشاشة تبقيتها ورمق امسكت به وقمت بين التلف و بينه . وفي شكره . قرأت في كتاب ولكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي اليه ومدى توقف عنده وغاية في الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين مناجمة أبقت للماضين منا وللباقين فخر الابد وردت عنا كيد العدو وارغمت عنا أنف الحسود و بسطت لنا عزا نتداوله ثم نخلفه للاعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين الى ظل ظليل وكنف كريم وقلب عطوف ونظر رؤوف فكيف يشكر الشاكر منا واين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدي ما يلزمنا ونقضي المفترض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذي لولم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا الا ما ورد به من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته لكان في ذلك ما يحسن الشكر و يستفرغ المجهود.

التلطف في مسئلته العفو

قال كسرى ليوشت المغني وقد قتل فهلوذ حين فاقه وكان تلميذه كنت أستريح منه اليك ومنك اليه فأذهب شطر تمتعي حسدك ونغل صدرك ثم أمر ان يلقى تحت أرجل الفيلة فقال أيها الملك اذا قتلت انا شطر طربك وأبطلته وقتلت انت شطره الآخر وابطلته أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتي عليه قال كسرى دعوه ما دله على هذا الكلام الا ما جعل له من طول المدة . وفي العفو ايضا . قال

رجل للمنصور الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المومنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . وفي العفو جلس الحجاج يقتل اصحاب عبد الرحمن فقام اليه رجل منهم فقال ايها الامير ان لي عليك حقاً قال وما حقك علي قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عنك قال ومن يعلم ذاك فقال الرجل أنشد الله رجلا سمع ذاك الا شهد به فقام رجل من الاسرى فقال قد كان ذاك أيها الامير فقال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك ان تنكر كما أنكر قال قديم بغضي اياك قال ويخلى عن هذا لصدقه . وأسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه فلما أقيم بين يديه قال الحمد لله الذي أمكن منك قال لا تقل ذاك فانها مصيبة قال وأية نعمة اعظم من ان يكون الله اظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي اضرب عنقه فقال اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما انت أهله فقال قاتلك الله لقد سببت فاوجعت في السب ودعوت فابلغت في الدعاء خليا سبيله . وفي مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فكتب اليه

يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُعِيذُهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى مَكَاناً يَشِينُهَا

فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَكَانَتْ حَبِيبَةً إِذَا مَا شِمَالِي فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا

فأبى الا قطعه فدخلت عليه أمه فقالت يا أمير المومنين واحدي وكاسبي فقال بئس الكاسب هذا حد من حدود الله فقالت اجعله من الذنوب التي تستغفر الله منها فعفا عنه . وفي مثله . أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فامر بضرب عنقه فلما رفع السيف ليضرب به ضرط الشامي فوقع العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبد الله فضحك وقال اذهب فانت عتيق استك فالتفت اليه وقال أصلح الله الامير رأيت ضرطة قط أنجت من الموت غير هذه قال لا هكذا والله الا دبار قال وكيف ذاك قال ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا . وفي مثله . خرج النعمان بن المنذر في غب سماء فرأى رجلا من بني يشكر جالسا على

غدير ماء فقال له اتعرف النعمان قال اليشكري أليس ابن سلمى قال نعم قال والله لربما أمررت يدي على فرجها قال له ويحك انا النعمان بن المنذر قال قد خبرتك فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيوه بتحية الملك فقال له كيف قلت قال أبيت اللعن انك والله ما رأيت شيخا اكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعض ببظر أمه من شيخ بين يديك فقال النعمان دعوه فأنشأ يقول

تَعفُو ٱلْمُلُوكُ عَنِ ٱلْعَظِيـ ـمِ مِنَ ٱلذُّنُوبِ لِفَضْلِهَا
وَلَقَدْ تُعَاقِبُ فِي ٱلْيَسِيـ ـرِ وَلَيْسَ ذَاكَ لِجَهْلِهَا
إِلاَّ لِيُعْرَفَ فَضْلُهَا وَيُخَافَ شِدَّةُ نَكْلِهَا

وفي مثله . لما أخذ المامون ابراهيم بن المهدي استشار أبا اسحاق والعباس في قتله فأشارا به فقال له المأمون قد أشارا بقتلك فقال ابراهيم إما أن يكونا قد نصحا لك في عظم الخلافة فهو ما جرت به عادة السيادة فقد فعلا ولكنك تأبى أن تستجلب النصر الا من حيث عودك الله وكان في اعتذاره اليه أن قال انه وان بلغ جرمي استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه ولي بعدها شفعة الاقرار بالذنب وحق الابوة بعد الاب فقال المأمون لو لم يكن في حق سببك حق الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تنصلك ولطف توصلك . وكان ابرهيم يقول بعد ذلك والله ما عفا عني المأمون صلة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومتي ولكن قامت له سوق في العفو فكره أن يفسدها في . ومن أحسن ما قيل في مثله قول العتابي

رَحَلَ ٱلرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُغْتَرِبًا حَشَدَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ ٱلدَّهْرِ
رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي وَثَنَى إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَتْبَكَ عَتْبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقول علي بن الجهم للمتوكل

عَفَا ٱللهُ عَنْكَ أَلاَ حُرْمَةٌ تَجُودُ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبْعَدَا

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ لَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَـدَا طَوْرَهُ وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِـدَ أَمْرٍ تَلَافَيْتَـهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَـدَا
أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

وفي مثله . وجد بعض الأمراء على رجل فجفاه واطرحه حينا ثم دعا به ليسأله عن شيء فرآه ناحلا شاحبا فقال له متى اعتللت فقال

مَا مَسَّنِي سُـقْمٌ وَلَكِنَّنِي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الأَمِيرُ

فعاد له . وقال آخر

أَلاَ إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوٌ مُعَجَّلٌ وَشَرُّ الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدْرُ

وكان يقال بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب . وفي العفو . قال بعضهم ان عاقبت جازيت وان عفوت أحسنت والعفو أقرب للتقوى . ونحوه . قال رجل لبعض الأمراء أسئلك بالذي انت بين يديه أذل مني بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب اليه من سقمي وبراءتي أحب اليه من جرمي . ونحوه قول آخر . قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الاساءة . وفي مثله . أتى الاحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم فقال أصلح الله الامير ان كانوا حبسوا في باطل فالحق يخرجهم وان كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم فخلاهم . وفي مثله . أمر معاوية بعقوبة روح بن زنباع فقال له روح أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيسة انت رفعتها أو تنقض مني مرة انت أبرمتها أو تشمت بي عدوا انت وقمته والا أتى حلمك وعفوك على جهلي واساءتي فقال معاوية خليا عنه ثم أنشد

إِذَا اللهُ سَنَّى عَقْدَ أَمْرٍ تَيَسَّرَا

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد نذر دمه ان امكنه الله منه

فقال له رجاء بن حيوة قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل مايحب الله من العفو . وفي مثله . قال ابن القرية للحجاج في كلام له أقلني عثرتي وأسغني ريقي فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة فقال الحجاج لا والله حتى أوردك جهنم ألست القائل برستقباذ تغدوا الجديَ قبل ان يتعشا كم . وفي مثله . أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فاعف له فانك به تعان واليه تعود فخلى سبيله . وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد ان عذبه بما عذبه به ان القدرة تذهب الحفيظة وقد جل قدرك عن العتاب ونحن مقرون بالذنب فان تعف فأهل العفو وان تعاقب فبما كان منا فقال أوْ لا لك اما حتى تأتي الشأم راجلا فلا عفو . وفي مثله . ضرب الحجاج أعناق أسارى أتى بهم فقال رجل منهم والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في المكافاة فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا وكف عن القتل . وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الامير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول اي رب سل مصعبا فيما قتلني قال أطلقوه قال اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض قال أعطوه عشر بدر قال بأبي انت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً قال ولم قال لقوله فيك

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّـ ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ يُخْشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ

يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْـ ـلَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْاِتِّقَاءُ

فضحك مصعب وقال ارى فيك موضعاً للصنيعة وامره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل . وفي مثله . قال عبد الله بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان هربت اليك من العراق قال كذبت ليس الينا هربت ولكنك هربت من دم

الحسين صلى الله عليه وخفت على دمك فلجأت الينا ثم جاء يوما آخر فقال

أدنو لترحمني وترتق خلّتي   وأراك تدفعني فأين المدفع

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربتي افرُّ إليهم   فهُمُ كربتي فأين الفرارُ

وفي مثله . قنع الحجاج رجلا في مجلسه ثلاثين سوطا وهو في ذلك يقول

وليس بتعزيز الأمير خزاية   عليّ اذا ما كنتُ غير مريب

ونحوه

وإنّ أمير المؤمنين وفعله   لك الدهر لا عارٌ بما فعل الدهرُ

وفي مثله مر الحسن البصري برجل يقاد منه فقال للوالي يا عبد الله انك لا تدرى لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله وأنت تقتله متعمداً فانظر لنفسك قال قد تركته لله . وفي مثله . حدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن عيسى بن عمر قال رُمي الحجاج فقال انظروا من هذا فأومأ رجل بيده ليرمي فأخذ فأدخل عليه وقد ذهبت روحه قال عيسى بصوت ضعيف يحكي الحجاج انت الرامينا منذ الليلة قال نعم أيها الامير قال ما حملك على ذلك قال العي والله واللوءم قال خلوا عنه وكان اذا صدق انكسر . وفي مثله حدثني ابو حاتم عن الاصمعي عن عثمان الشحام قال أتى الحجاج بالشعبي فقال له أخرجت علينا ياشعبي قال أجدب بنا الجناب وأحزن بنا المنزل واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فقال الحجاج لله أبوك ثم أرسله . وفي مثله . أتي موسى بن المهدى برجل قد كان حبسه فجعل يقرعه بذنو به فقال الرجل يا أمير المؤمنين اعتذارى مما تقرعني به رد عليك واقرارى بما تعيده عليّ يلزمني ذنبا لم أجنه ولكني أقول

فان كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً   فلا تزهدنْ عند المعافاة في الأجرِ

وفي مثله . قال الحسن بن سهل لنعيم بن حازم وقد اعتذر اليه من ذنب عظمه

على رسلك ايها الرجل تقدمت منك طاعة وتأخرت لك توبة وليس لذنب بينهما مكان وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو . وفي الدعاء له . قال رجل لبعض الامراء أراني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقى به الامير غير ما جرى على ألسن الناس لأحببت أن ابلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره غير أني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطلع عليه مما تبلغه نيتي في ارادته للأمير أدنى ما يؤتيه اياه من عطاياه ومواهبه . وفي الدعاء له . قرأت في كتاب رجل من الكتاب لازالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغه وأمل فيك تحققه حتى تملأ من الاعمار أطولها وترقى من الدرجات أفضلها . وفي الدعاء . دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعه فقال السلام عليك أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له في الكلام قال نعم فتكلم بعد حمد الله والثناء عليه فقال نستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ونقيك الاذى بأسماعنا وابصارنا هذا مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك ثم تكلم في حاجته . وفي شكر السلطان . قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال ما أقدمك علي فقال يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة قال وكيف ذاك قال أما الرغبة فقد وصلت الينا وصارت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا وأما الرهبة فقد أمنا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم فنحن وفد الشكر . وفي حمده . كتب بعض الكتاب الى وزير كل مدى يبلغه القائل بفضلك والواصف لايامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصداً ممر عد الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك فواجب على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظلته أيامك أن يستديمها وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها فقد جمع الله بها الشتات وأصلح بها الفساد وقبض الايدي الجائرة وعطف القلوب النافرة فأمنت سرب البريء وخفضت جأشه وأخفت سبل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالعه

و وقفت بالخاصة والعامة على قصد من السيرة أمنوا بها من العثار والكبوة . وفي حضه على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شبة للمهدي إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك

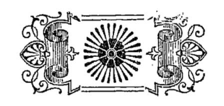
تم كتاب السلطان من كتاب عيون الاخبار والحمد لله

رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين

وصحبه الاكرمين وسلم تسليماً وكان تمام

طبعه في أواخر جمادى الآخرة

سنة ١٣٢٤ هجريه



﴿ فهرست كتاب السلطان من كتاب عيون الاخبار ﴾

صحيفه

كتاب المعمرين من العرب وطرف أخبارهم وما سنوه لمن بعدهم في جوامع كلهم تأليف الامام ابى حاتم السجستانى المتوفى سنة ٢٣٥ مضبوط ماجاء فيه من الشعر والحكم بالشكل ومشروحة بعض ألفاظه

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) أو النثر والنظم) تأليف أبى هلال العسكري أحد أعلام أدباء القرن الرابع . . وهو الكتاب الوحيد الخالي من حشو الكلام وتعقيده أوضح فيه طريق تعلم الصناعتين بالامثلة المختارة وقد طبعناه مضبوطة أبياته الشعرية ومشروحة كلماته اللغوية

تذكرة موضوعات الحديث (أو معلول الحديث وبمن اعل) تأليف أبي الفضل محمد ابن طاهر المقدسي المحدث المتوفي سنة ٥٠٧ يذكر الحديث المعلول وبمن أعل مرتبًا على حروف الهجاء

كتاب تعديل أركان الصلاة للامام أحمد بن حنبل مع كتاب احكام تارك الصلاة لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزيه بين في الاول كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم وبين في الثاني رخص المتجوزين في أمر الصلاة والرد عليهم ونقول ائمة الاسلام في حكم تارك الصلاة

مراتب المدلسين في الحديث (أو طبقات المدلسين) للحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري مع كتاب عمدة أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث لابى الفرج ابن الجوزى المحدث الكبير

تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث تأليف العلامة ابن الديبع اليمني تلميذ الشيخ السخاوى المحدث الكبير اختصر فيه كتاب المقاصد الحسنة فيما يدور من الاحاديث على الالسنة لشيخه السخاوى وتعقبه باحاديث أخر تدور على ألسنة الناس في مجالسهم ومناظراتهم وبين الصحيح منها وغير الصحيح والموضوع والمعلول بيانا كافيا

كتاب الامالى الصغرى (في الادب) لابى اسحاق الزجاج احد أئمة الادب واللغة في القرن الثالث وممن يحتج بنقلهم يتنقل فيه المطالع من نادرة الى نادرة ومن مناظرة الى مناظرة وأعتناء بشأن الكتاب المذكور كتب عليه شرحا يحل بعض مسائله العويصة العلامة الاديب الرواية الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

